

العدد الخامس

السنة الثانية

صاحب الزمير

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْتَلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة

٦٠ عن نصف سنة

للطلاب وجنود الجيش

٨٠ عن سنة كاملة

٤٠ عن نصف سنة

٢٥ عن ثلاثة أعداد

يضاف إليها أجرة

البريد خارج القطر

مارس سنة ١٩٥٣

رجب سنة ١٣٧٢

هذه القصة

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

ذهبت إلى الإسكندرية في الأسبوع الماضي كي أسير في جنازة شهداء البحرية الذين لم يموتوا في قتال ، وإنما غرقت بهم السفينة في جو لم تقو فيه على مغالبة الرياح ، وقد ذهب ضحية الحادث بضعة وخمسون رجلاً من أوفى الناس لبلاדם . وكنت مهموماً محزوناً لهذا الحادث ، أفكر فيه وفي نتائج القرية والبعيدة ، ولما وصلت إلى حيث يبدأ المشيعون سيرهم ضاق صدري وكدت أختنق ، وهي حالة تعتريني في ساعات الحزن ، ولا أجد في عيني دمة واحدة تطفئها ، فإن دمعى غير حاضر ، وتشق على مواقف الحزن التي لا أجد إلى التخفيف منها سبيلاً . وقد ذكرت حينئذ الطائفة الحربية التي سقطت قبل أيام ، وتصورت شهداءها والخسائر التي حلت بنا ، واشتد بي ضيق الصدر لولا أن تذكرت قول الله تعالى « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ » وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليه صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » ففرت نفسي

السنة الثانية

العدد الخامس

الاشتراكات

١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُسْلِمُونَ

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي
سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز

ورئيس التحرير

سمير رمضان

الإدارة:

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥٥

مارس سنة ١٩٥٣

رجب سنة ١٣٧٢

هَذَا الْقُرْآنُ

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

ذهبت إلى الإسكندرية في الأسبوع الماضي كى أسير في جنازة شهداء البحرية الذين لم يموتوا في قتال ، وإنما غرقت بهم السفينة في جو لم تقو فيه على مغالبة الرياح ، وقد ذهب ضحية الحادث بضعة وخمسون رجلا من أوفى الناس لبلاדם . وكنت مهموماً محزوناً لهذا الحادث ، أفكر فيه وفي نتائج القربى والبعيدة ، ولما وصلت إلى حيث يبدأ المشيعون سيرهم ضاق صدرى وكدت أخنق ، وهى حالة تعتربنى في ساعات الحزن ، ولا أجد في عيني دمة واحدة تطفئها ، فإن دمعى غير حاضر ، وتشق على مواقف الحزن التى لا أجد إلى التخفيف منها سبيلا . وقد ذكرت حينئذ الطائرة الحربية التى سقطت قبل أيام ، وتصورت شهداءها والخسائر التى حلت بنا ، واشتد بى ضيق الصدر لولا أن تذكرت قول الله تعالى « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليه صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » فقرت نفسى

المضطربة ، وعلمت أنى استجبت للعاطفة أكثر مما ينبغي ، وأنى سهوت عن التفكير في أن الأمور تجري بقدر ، وأن لله فيما قدر حكمة هو بالغها وذكرت قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه أبداً ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه أبداً جفت الأقلام وطويت الصحف » .

ولكنى لم ألبث أن سمعت نبأ تلك الطائرة التي أدت واجبها في رحلة طويلة ، وفيما هي تقترب من نهاية الرحلة عائدة إلى القاهرة احترقت ، واحترق معها كل من كانوا فيها ، وذهبت هذه الأرواح إلى ربها ، وأنا أعلم أن فيها قوما كانوا لا يلهيهم شيء عن ذكر الله . وعدت إلى تذكر الآية الكريمة والحديث الشريف وقلت جفت الأقلام وطويت الصحف .

وسبح فكري إلى زلزال إيران حيث انشقت الأرض وانطبقت على قرية بأكملها فأهلك أناسها وحيوانها وزروعها — وقلت إن لله في ذلك حكمة هو بالغها ، وجفت الأقلام وطويت الصحف .

ووثب فكري إلى ما كان من هياج البحر ، وطغيان مائه الذي سبب لانجلترا وهولندا كوارث ، غرق البيوت ، وشقت سكان بعضها ، وأفنى بعضاً ، وأتلف الزرع والماشية ، وأفسد الأرض أن تصلح للزراعة في بعض الجهات دهرأ طويلاً ، ثم قال أهل تلك البلاد إنهم بما قووا من سدود وما وضعوا من أكياس الرمل قد انتصروا على الطبيعة تغلبوا عليها ، فارتد البحر عنهم ، وانخفضت أمواجه وعاد مهزوماً .

اجتمعت هذه الحوادث في ذهني ، وسأقتني إلى التفكير فيها ، وفي غيرها ، فرأيت أن الإنسان الضعيف القوي ، الدليل المتمرد ، المسكين الجبار ، الأعمى البصير ، ينسى في تصرفه ضعفه وذله واستكانته وعماء ، ولا يتذكر إلاقوته وتمرده وتجبره وبصره فينسى خالقه ويستطيل عليه ؛ بل يكفر بوجوده ويزعم أنه قادر على كل ما هداه عقله بتوفيق الله إليه ، وأنه يستطيع أن يتصرف في هذا الكون تصرف من لا يرد له قول أو فعل ، وأنه يستطيع أن يغالب الطبيعة ، ولا يذكر الله إلا قليلاً ، ويرتكب من المظالم ما تعينه حيلته عليه ، غير شاعر بأن الله جلت قدرته قد وضع لهذا الكون قوانين يجري عليها ، وأن من هذه القوانين علاقة المرء بربه في سره وإعلانه ، ونجواه وجهره وعلاقته بالناس أفراداً وجماعات ، فكما أن الشمس والقمر والنبات والحيوان والأرض وما فيها كلها تسير وفقاً لقوانين ثابتة لا تتغير ، فكذلك الإنسان قد رسم الله له الطريق وهداه الصراط المستقيم هداية بيان وتعليم ، ولم يبق له إلا أن يهتدى بما هداه ويستعين الله في ذلك ويسأله التوفيق .

ولكن الإنسان خرج على هذه القوانين ، فآله تعالى يذكره بين آن وآخر بقدرته وعظمته وجبروته لعله يتذكر أو يخشى . أنظر إلى قوله تعالى « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

ومن حكمته تعالى ورحمته بخلقه ألا ينزل العقاب بالناس إلا بعد أن ينذروهم ويرسل لهم الرسل ، ثم لا يجعل لهم بعد فيأخذهم بذنوبهم ، بل يعلى لهم حتى يتوبوا أو يقيمهم على ما اجترحوا ليوم آخر « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى » .

وغضبه على عباده في الدنيا وعقابه لهم ليس من الضروري أن يكون في صورة من الصور التي كانت تحصل للأمم السابقة من نحو ما جاء في قوله تعالى « كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه ففقروها فقدم عليهم ربهم بذنوبهم فسواها ولا يخاف عقابها » بل قد تكون من نوع ما جاء في قوله تعالى « وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد » وسوط العذاب قد يأخذ صوراً كثيرة كلها مما يحزن له القلب وتجزع النفس ويضطرب الفكر فتغشى الناس غواشى الحيرة والارتباك في شئونهم ، وعدم الأمن على أنفسهم وأموالهم ، ومن خصائص هذه النكبات العامة أنها تأخذ الظالم والمظلوم والبر والفاجر والذين هم في ضلال والذين هم على هدى . وصدق الله العظيم : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

فإذا صح لنا أن نقول إن ما يقع لنا ولغيرنا من الكوارث والنكبات ليس إلا نذيراً من الله تعالى لعباده ، حتى يبصرهم بما هم فيه من خروج على سننه الكونية وشرائعه الإلهية ، وأنه إذا شعر الإنسان بقوته فليرجع إلى الله حتى تتضاءل هذه القوة فلا يضل ولا يطغى . وأن الله تعالى أغير على خلقه من أن يدعهم يظنون به الظنون ، وأن حياتهم وأعمالهم تجري على حسابهم وحدهم كما تجري عملية حساب واحد وواحد يساوى اثنين ، ففي بعض الأحيان لا يساوى الواحد عند الله شيئاً وأحياناً يساوى كثيراً والله تعالى هو الذى يمنع حتى يصبح الضعيف قوياً ويمنع حتى يصبح القوى ضعيفاً « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

والرجعة إلى الله تقتضينا العمل بكتابه وسنة رسوله عملاً لا نخشى فيه أحداً ولا نمألى أحداً ، وهو العمل الوحيد الذى تزدهر به حياتنا ، ونذوق طعم السعادة ، ونؤمن الكوارث ، وصدق الله العظيم « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

قَصَصُ الْفِرَاقِ

آدم عليه السلام

عرض وتحليل للأستاذ البهي الخولي

عناصر تكوين الإنسان

« إذ قال ربك للملائكة : إني خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ^(١) » .



القرآن ونسأة الحياة في الأرض :

تعرض القرآن الكريم لبداية الحياة في هذه الأرض فقال سبحانه : « والله خلق كل دابة من ماء ؛ فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، إن الله على كل شيء قدير ^(٢) » .

وهذا الذي قرره القرآن منذ قرون وأجيال يقرره العلماء الآن ؛ إذ يقولون إن أول حيوان وجد في هذه الأرض ، إنما وجد في الماء في صورة خلية ضئيلة جداً ، تحمل سر الحياة القابلة للنمو والتكاثر والتطور . . . وتكاثر هذه الخلية الضئيلة كثر ما يعيش في الماء من الأحياء . . . وتطورت هذه الأحياء فصارت أنواعاً وأجناساً وفصائل . وظلت تعيش في الماء ما شاء لها الله ، ثم بدأ بعضها يدرج منه إلى وجه الأرض ويعيش عليها . . . وتأقلم ذلك الذي درج إلى سطح اليابس ، وتكاثر وتطور ؛ فكان منه ما نعرف من أنواع الحيوان ، وما لا نعرف مما انقرض نسله وغير عهده .

ذلك ما يقرره القرآن ، ويقرره العلم عن بدء الحياة في هذه الأرض ؛ وهو تقرير يدل على أن الأرض عرفت كثيراً من أنواع الأحياء المائية والبرية قبل أن تعرف هذا الإنسان الذي يسكنها الآن بما لا يحصى إلا الله من الدهور . . . فلما خلق الله سبحانه

آدم كانت الأرض حافلة بأصناف النبات والطيور والدواب ، ولم يأمره سبحانه بالهبوط إليها إلا بعد أن علمه أسماءها وخواصها وسر تذليلها والانتفاع بها ؛ وإليه الإشارة بقوله عز وجل : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين^(١) » .

صلى آدم بمن سكنوا الأرض قبله :

وليس في نصوص القرآن التي وردت عن نشأة الحياة في هذه الأرض وتطورها نص قطعي يدل على أن الإنسان الحالي انحدر من سلالات تلك الأحياء القديمة وتطور حتى صار إلى ما هو عليه الآن ؛ وليس في العلم كذلك نص يقيني يقرر ذلك . . وكل ما هنالك أن لدى علماء الجيولوجيا علما عن بقايا عظام قديمة لأمم سكنت هذه الأرض منذ عصور موعلة في القدم تخالف عظام الآدميين الموجودين عليها الآن . . قال أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار : « والجيولوجيون يسمحون الأمة التي كانت تسكن الأرض قبل هذا الجنس الآدمي مباشرة بالإنسان (التياندرتالي) وأن ذلك الجنس قد باد عن وجه الأرض — راجع مقاله بشأن هذا في البلاغ المخصوص ١٥ مايو سنة ١٩٣٤ » اهـ

نظرية داروين وخلق آدم : من تجميعات كاتوير علوم إسلامي

وقد رأى بعض الباحثين في قصة آدم أن يناقشوا « نظرية داروين » التي تقول إن الإنسان أصله قرد ترقى بسبب عوامل مجهولة حتى صار إلى ما هو عليه الآن ، وليس أصله آدم كما تقول النصوص الدينية ... وردوا بأن تلك النظرية لم تزل موضع البحث ، ولم تبلغ مرتبة العلم اليقيني .

على أن ذلك مبحث لا يعود علينا بشيء من النفع في دنيانا ولا في آخرتنا .. وهذا كلام ربنا سبحانه يقول فيه إنه خلق الإنسان من طين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وهو كلام فيه كل الكفاية لما نريد من خير الدنيا والآخرة . .

عناصر الطين في الإنسان :

أما أنه خلقه من طين أو تراب ، فذلك ما يؤيده الواقع ، ويقره العلم ، وتثبتته التحاليل الكيميائية . . .

فلو أنك أخذت قبضة من تراب الأرض الحصبية ، وأجريت عليها عمليات التحليل الكيماوى لوجدتها تتركب من : « ستة عشر عنصراً » .

ولو أخذت قطعة من جسم الإنسان وأجريت عليها عمليات هذا التحليل لوجدتها كذلك تتركب من : « ستة عشر عنصراً » هي نفس العناصر التى تتركب منها تربة الأرض .

وهذه العناصر هى ما يأتى ، مرتبة بحسب نسبة وجودها فى جسم الإنسان :

الأكسجين ٠.٣ و ٦٣ ٪ — الكربون ٢٠,٢٠ ٪ — الإيدروجين ٩,٩٠ ٪ — النتروجين ٢,٥ ٪ — الكالسيوم ٢,٤٥ ٪ — الفسفور ١,٠١ ٪ — الكلور ٠,١٦ ٪ — الفلور ٠,١٤ ٪ — الكبريت ٠,١٤ ٪ — البوتاسيوم ٠,١١ ٪ — الصوديوم ٠,١٠ ٪ — المغنسيوم ٠,٠٧ ٪ — الحديد ٠,٠١ ٪

وآثار ضئيلة من كل من : اليود ، والسليكون ، والمنجنيز . وتنتقل هذه العناصر من تربة الأرض إلى جسم الإنسان بما يتناوله المرء من الأطعمة والمأكولات .

والأطعمة إما نباتية أو حيوانية كالميتور علوم ربرى فالنباتية مؤلفة من العناصر التى ذكرناها ؛ فلو أنك أخذت كمية من القمح — مثلاً — وحللتها كيميائياً لوجدتها مؤلفة من العناصر المذكورة ؛ إذ النبات إنما يستمد غذاءه من تربة الأرض : أى من نفس هذه العناصر .

والأطعمة الحيوانية مؤلفة من العناصر التى تتألف منها الأطعمة النباتية ؛ إذ الحيوان يعتمد فى بناء جسمه على النبات .

وعندما يموت الإنسان والحيوان والنبات تبلى أجسامهم وتتحلل إلى عناصرها الأولى ، وتعود إلى الأرض . ! فثم دورة كاملة للعناصر المذكورة فى الكرة الأرضية . وصدق الله العظيم : « منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (١) » .

خصائص الطين فى الإنسان

روى أبو موسى الأشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض

خاء منهم الأحمر والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن ، والطيب والحبيث » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بهذا الكلام الدقيق العميق إلى أن طبيعة الطينة التي خلق منها المرء تضرب في كيانه حتى تظهر فيما يعرف به من صفات حسنة أو رديئة .

ففي الأرض ماهو سهل منبسط تطيب النفس لرؤيته ، وتنشرح لمزاولة السير في رحابه ، فمن كان في طينته حظ من ذلك السهل سرت تلك الخصوصية إلى مزاجه النفسى ، وظهرت السهولة والسماحة في خلقه وأسلوب معاملته .

ولسنا بصدد إيراد مانذب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سماحة الخلق وسهولة النفس ولين الجانب ؛ بل بصدد تحليل المشابه الواضحة بين خصائص نفس المرء وخصائص الطينة التي خلق منها ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أورد هذا الحديث ليفتح لنا باب هذا التحليل ، وليدل على الرابطة الرمزية أو المعنوية بين أوصاف الجيلة البشرية والطينة التي خلقت منها .

فكما أن من الأرض ماهو سهل بطبيعته ، وماهو حزن بطبيعته ؛ فإن من النفوس — تبعاً لذلك — ماهو سهل بطبيعته ، وماهو حزن بطبيعته ؛ والحزن هو الأرض الوعرة الغليظة التي يشق فيها السير لما فيها من صخور وأحجار وعقبات .. ولاشك أن العلاقة واضحة بين حال تلك الأرض وحال مايقابلها من نفوس خشنة غليظة ، يعانى منها الناس ألواناً من شراسة الطبع وسوء المعاملة . ومايقال عن السهل والحزن يقال عن الطيب والحبيث .

وفي هذا الحديث النبوى الكريم إشارة إلى أن الخلق الحسن أو القبيح قد يكون طبيعة في معدن المرء ، لامنحدراً إليه عن ورائة ، ولايجلوا له بكسب أو مجاهدة .

فكما يكون المكان سهلاً ولافضل له في سهولته ، أو حزيناً ولايد له في تلك الحزونة ؛ نرى من الناس معادن طيبة تثمر الصنيع الحسن دون أن يكون لأصحابها فضل فيه ، ومعادن خبيثة ترسل الشر على سجيته عفواً بلا تكلف ؛ وفي هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » :

وهذا مبحث من مباحث علم النفس نعرض له — في هذا المقام — من حيث

نظر الإسلام إليه وحكمه على صاحبه .. فالإسلام الحنيف لا يسوى بين من يأتي الخير وله نية فيه تنظر إلى وجه الله ، وبين من يفعله ولانية له ولا فقه في شيء ؛ فأولئك الذين ينطوون على معادن طيبة وطباع سمجة ، لا يكتب لهم أجر ما يفعلون من خير إلا إذا كانت لهم بصائر مشرقة وفقه مستمد من معرفة الله ، وإلا فكيف يكتب الله أجراً لأمريء لم يرفع إليه عمله ، وكيف يشيب على عمل لم يفكر صاحبه في ثوابه ؟ .

فالحير في الإسلام ليس خيراً إلا إذا ابتغى به وجه الله ، والعنصر الطيب ليس طيباً إلا إذا استنار بمعرفته عز وجل ؛ وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » .

ولاشك أن هذا مذهب جليل في تقدير الرجال والأعمال : يصحح الأوضاع ، ويعرف لكل ذي قدر قدره ، ويسمو بالمجتمع إلى مستوى رفيع من الكمال ؛ إذ يجعل الأقوال والأعمال جميعاً منوطة بغاية واحدة ومثل أعلى هو الله وحده سبحانه . قالت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها : « يارسول الله : إن عبد الله بن جدعان كان يطعم الطعام — في الجاهلية — ويفعل كيت وكيت من المعروف ، أينفعه ذلك عند الله ؟ قال : « لا ؛ لأنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » .

فلا بد من النية ، ولا بد من فقه المثل الأعلى ؛ ولا بد من الإرادة ؛ وكل ذلك ليس من خصائص الطين ، ولا يستطيع التراب أن يمد المرء بمخلجة واحدة منه .

ولازيد أن نسترسل في هذا المقام إلى ما هو أبعد من ذلك ؛ فإن الغرض هو توضيح ما بين طبيعة الأرض وطبيعة البشر من صلات حسية ومعنوية ، أو أن تبرز تلك الوحدة التي تجمعهما في أصل حسي واحد . وتنظمهما في صفات معنوية متشابهة (١) .

(١) ينتهي بهذا المقال الفصل الأول من قصص القرآن عن آدم عليه السلام ، ونبدأ في العدد القادم بمشيئة الله الفصل الثاني عن نوح عليه السلام .

مِنْ عِلْمِ السُّنَّةِ

فى البىوع والكسب والمعاش وما يتعلق بالتجارة

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا

(٨)

باب النهى عن بيع الولاء وفضل الماء وعسب الفحل

١ - عَنْ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ بَيْعِ الْوَلَاءِ^(١) وَعَنْ هَبْتِهِ .

٢ - عَنْ أَبِي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا تبيعوا فضل الماء^(٢) ، ولا تمنعوا الكلاء^(٣) » ، فيهزل المال ويجموع العيال .

٣ - عن إِيَّاسِ بْنِ عَبْدِ رضى الله عنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تبيعوا فضل الماء فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن بيع الماء والناس يبيعون ماء الفرات^(٤) فنهاهم .

٤ - عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فيما أخسب^(٥) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن بيع الماء .

٥ - عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن نمن عَسْبِ^(٦) الفحل .

(١) يعنى ولاء العتق ؛ وهو إذا مات المعتق ورثه معتقه أو ورثة معتقه وكانت العرب تبيعه وتهبه فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك .

(٢) المراد به ما زاد عن الحاجة .

(٣) الكلاء : النبات رطب ويابس ، وهو أعم من الخلا والحشيش ؛ لأن الخلا مختص بالرطب والحشيش مختص باليابس ، والكلاء يعمهما . والكلاء المنهى عن بيعه هو الذى يكثر فى المواضع المباحة كالأدوية والجبال والأرض التى لا مالك لها .

(٤) الفرات : نهر عظيم مشهور ، وهو كذلك الماء العذب .

(٥) أى فيما أظن والقائل فيما أخسب هو عفان أحد رجال السند .

(٦) الفحل هو الذكر من كل حيوان ، وعسبه : ماؤه .

٦ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يبيع الرجل فَحْلَةً فَرَسٍ^(١).

باب النهى عن ثمن الكلب والسنور ومهر البغى وغير ذلك

١ - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مَهْرِ الْبَغِيِّ^(٢) وَثَمَنِ الْكَلْبِ وَثَمَنِ الْخَمْرِ.

٢ - وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثمن الكلب خبيث^(٣). قال : فإذا جاءك يطلب ثمن الكلب فاملاً كفيه ثراباً^(٤).

٣ - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ثَمَنِ الْكَلْبِ إِلَّا الْكَلْبَ الْمُعَلَّمَّ^(٥).

٤ - وعنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن ثمن الكلب ونهى عن ثمن السَّنَّوَرِ^(٦).

٥ - عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُمَيْدَةَ بْنِ عَمْرٍو رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ثمن الكلب ، ومَهْرِ الْبَغِيِّ وَخُلُوانِ الْكَاهِنِ^(٧).

٦ - عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن ثمن الكلب وقال طُعْمَةٌ^(٨) جَاهِلِيَّةٌ.

٧ - عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ثمن الجَرِيْسَةِ^(٩) حرامٌ وأكلها حرامٌ ».

(١) الفرس يطلق على الذكر والأنثى ، والمراد النهى عن بيع ضراب ذكور الخيل وغيرها .

(٢) البغى : الزانية ، والمراد بالمهر هنا ما تأخذه أجرة على الزنا وسماه مهرأ لكونه على صورته .

(٣) المراد بالخبيث هنا الحرام .

(٤) كناية عن منعه من الثمن . معنى التراب هنا الحرمان والخيبة كما يقال ليس فى كفيه إلا التراب .

(٥) استثنى فى هذا الحديث ثمن الكلب المعلم للصيد .

(٦) السنور : القط

(٧) أى ما يتقاضاه الكهان والعرافون أجرة ادعائهم استطلاع الغيب ، وشبه بالشئ الخلو لأنه يؤخذ من غير كلفة ولا مشقة .

(٨) الطعنة : وجه المكسب ، والمراد أنه ثمن خبيث نهى الشرع عنه .

(٩) الجريسة : ما يسرق من الغنم بالليل .

الربا

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

« أهمل هذا البحث إلى طلبه كلية الحقوق برمتى »

(٣)

أيها الأبناء الأعزّة :

٢٨ — وددت أن ابتدئ القول بالكلام في الربا الاصطلاحي ، أو الربا الذي جاءت به السنة ، وقد ظننت أني بلغت ما أقصد من الكلام في ربا النسيئة ، وهو في معناه حقيقة لغوية عند العرب ، وجاء به القرآن ، وأجمع المسلمون على تحريمه ولم يختلفوا فيه قط . وددت ذلك ، ولكن في ندوة علمية للاخوان المسلمين - أعز الله بهم الإسلام - عقب محاضرة قيمة ألقاها الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله العربي جرت مناقشات حول جواز الربا للضرورة ، اشترك فيها فضيلة المرشد العام حفظه الله ، وبعض كبار شيوخ المغرب ، فحق علينا أن نسجل ما انتهت إليه المناقشة العلمية الدينية الملخصة النيرة . لقد تحدثنا في الضرورات التي تبيح المحظورات ، ولم نتصور أن ثمة ضرورة اقتصادية أو اجتماعية تجعل المسلمين في حال اضطرار إلى التعامل بالربا ، وجعله نظاماً قائماً ولو كان على سبيل التوقيت ؛ وقلنا إن أساس الضرورة ألا تكون منجاة إلا بارتكاب المحرم ؛ وقد تأيد نظرنا بالبحث القيم الذي نشرته مجلة « المسلمون » للأستاذ محمود أبو السعود مستشار بنك الدولة بباكستان ، ففيه رسم منهاج قويم لتنظيم اقتصاد الأمة الإسلامية الذي يحل محل النظام الاقتصادي الربوي ، وأحسب أنه لو اتبع لكان أطيّب ثمرة ، وأبرك رزقاً ، وأكثر خيراً ، وفيه رضا الله ، والبعد عن مآثم الربا ؛ فإن الربا من السحت كما وردت بذلك الآثار ، وكما هو الحق الذي تدركه العقول .

٢٩ — لقد وجّهت الأسئلة الآتية في تلك الندوة المباركة .

السؤال الأول : إذا أُلغى الربا فما مآل العقود والالتزامات التي بنيت عليه ، فهل تذهب ديون البنك العقاري على الأراضي سداً بدداً ، ويتحلل كل عاقد مما أوجبه عليه العقد ؟ والعقد شريعة المتعاقدين ؟

والسؤال الثاني : إذا اضطرت الدولة إلى شراء أسلحة ؛ هي مضطرة إليها لأن عدوآ يساورها ، ويهجم عليها وهي لا محالة مأكولة إذا لم تشتتر أسلحة ، وليس في خزائنها نقد تؤديه ، ولا بضائع تزجها . ولا سبيل إلا بالشراء نسيئة على فائدة تدفع ، فهلا تكون هذه حال ضرورة توجب قبول ذلك العقد الربوى ؟

والسؤال الثالث : إذا كان شخص في حال اضطرار إلى القرض ، ولم يجد إلا من يقرضه رباً ، كأن يحتاج إلى جراحة تجري في جسمه ليقطع جزءاً مثوفاً ، ولا مال معه ، والطبيب لا يعمل إلا بأجرة ، والموت يترصده وهو واقع لا محالة إن لم يُجرح الجراحة ، فهلا يكون في حال اضطرار تسوغ له أن يقرض بالربا ؟ .

٣٠ — هذه هي الأسئلة ، وقبل أن نخوض في الإجابة عنها ، أو تسجيل ما كان جواباً لها في تلك الندوة المباركة نقرر أن الآراء في الندوة قد اتفقت على أنه لا توجد ضرورة اقتصادية تسوغ أن يكون الربا نظاماً للتعامل الإسلامى ولو على سبيل التناقوت ، وأن إقرار النظم الربوية القائمة بدعوى أن الضرورة تلجئ إليها ليس من الشرع في شيء ، وإنما هو تحلل العزائم ، وتقاعد الهمم ، وضعف الوجدان الدينى . وبعد تقرير هذه الحقيقة التي تم الاتفاق عليها ؛ نبتدىء في الإجابة عن الأسئلة الثلاثة . ونبتدىء بالثالث حتى نعود إلى الأول .

إن هذا السؤال يرمى إلى أن الشخص يكون في اضطرار لأن يقرض بالربا ، وتلك حال لا تحتاج إلى بحث ولا إلى تنقيب ، وهي من البدهيات المقررة ؛ فإنه إن لم يقرض بالربا فسيتلف جسمه لا محالة ، فهي ضرورة فردية ، لاشك في ذلك ، وهي تسوغ له أن يقرض بالربا ؛ وهذا لا يسمى تعامللاً بالربا في حال الاختيار ، وهي مرتبة عفو بالنسبة المقرض . أما المقرض فإنه يبوء بإثم وإثم المقرض معاً ، والكسب لا يحل له بحال من الأحوال . فهو كسب خبيث لاشك في ذلك ، وإذا كان قد أكله فقد اقتطع لنفسه قطعة من النار .

٣١ — وأما السؤال الثاني : وهو اضطرار الأمة إلى شراء أدوات حرب بالربا ، وإلا أبيت خضراؤها واجتثت من أرضها ، أو ضربت عليها الذلة ، فإننا نجيب عنه ، ولا نقول إنه سؤال فرضى يشبه أسئلة الفقهاء الذين يفرضون بعض المستحيلات ليحلوا مشاكل يحسبونها متوقعة ، وهي لا يمكن أن تكون واقعة ، ولا إنه يشبه أسئلة بعض الفقهاء الذين وصفهم الشعب بأنهم الأرايتيون الذين يتبعون كل مسألة بقولهم أرايت لو كان كذا وكذا : يفرضون ويقدرّون ما ليس واقعاً .

لا نقول شيئاً من ذلك ، بل نجيب في إخلاص . إنه لو كان مثل هذه الحال ، ولم تستطع الأمة فرض ضرائب تشتري به سلاحاً ، ولم تستطع أن تعقد قرصاً أهلياً يكون قرصاً حسناً ، وفرض المستحيل وكان الشعب كله خالي الوفاض ، بادى الأنفاض ولم تجد من يقدم سلاحاً في نظير بضائع ، أو لم تكن حق بضائع ، إذا فرضت كل هذه المستحيلات ووقعت ، فإننا نقرر أن الأمة تكون من قبل ومن بعد قد أحاطت بها خطيئاتها حتى تأدت بها الأمور إلى مثل هذه الحال ، وما عليها أن تشتري نسيئته إما بشمن مرتفع خال من الربا ، أو ربا ، وتكون في هذه الحال غير آكلة للربا ولكنها تؤكله ، ولكن هل تخلو الأمة في مجموعها من إثم الربا في هذه الحال !! إنها أهملت أمرها ، فلم تعد المصانع ، ولم تأخذ بقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم » . وفطرت حتى صار أمرها فرطاً فلم تنم مواردها : لم تنم موارد الآحاد ولا موارد المجموع ، ولم يستخرج ما في الأرض من ينابيع الخير ، ثم مع ذلك فقد التعاون فيها حتى صارت مطمع الفاتحين . إن هذه كلها آثام تضافرت حتى تأدت بها إلى هذه الحال .

على أننا على أى حال لا نعتبر ذلك من قبيل تنظيم للتعامل بالربا أوجدته الضرورة ، إنما هي حال تشبه حال المكروه الملجأ . وإنا بعد هذا نقول : إن هذه صورة تفرض ولا تقع .

٣٢ — وأما السؤال الأول ، وهو خاص بالعقود الربوية التي أبرمت تحت ظل النظام الربوي أتبقى نافذة الأثر لأن القانون الجديد المحرم لا يطبق عليها ؟ إذ المقرر أن القانون لا يطبق على الماضي ؛ فإننا نتلو في الجواب عنه قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » هذا هو حكم الله الصريح فيما بقي من الربا ، فالعقود الربوية التي عقدت لا ينفذ فيها إلا رأس المال كما هو نص القرآن ، وهو قضاء الله ورسوله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

هذا جواب صريح تقرر معتمدين على الله ، ولا عبرة بما يقال من أن ذلك تطبيق للقانون على الماضي ؛ فمحمد صلى الله عليه وسلم قد طبق قاعدة تحريم الربا على الماضي ، فنأدى في حجة الوداع : « إن ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أبداً به ربا عمى العباس بن عبد المطلب » . فقد أزال كل عقود ربا الجاهلية ، ولم يوجب على المدين إلا رأس المال .

وقد يقول قائل : إن في ذلك هدماً لعقود أبرمت بالتراضى ، فنقول إنها عقود أبرمت في إثم ، وهى مفسدة للجماعة ، ولا ضرر ولا استحالة في إنهاء الربا فيها .

إن الإصلاح الزراعى في مصر تم بضربة واحدة من يد مصلحة ، وبعزيمة حاسمة ، تدفعها نية مخلصة ، وإذا كانت قد أنهت ملكيات مقررة ثابتة بأسباب شرعية للمصلحة العامة ، وطبق ذلك على الماضى والحاضر والمستقبل ؛ أفلا يسوغ إنهاء حقوق آئمة أوجدتها أسباب آئمة ، وترتب عليها ضرر لا ريب فيه ، ومع ذلك فقد مضت لمصر سنة في إلغاء بعض الفوائد للبنوك العقارية ؛ وذلك في قانون التسويات العقارية ، وإذا ساغ حذف الجزء فإنه يسوغ حذف الكل ، بل كان الواجب في لماضى حذف كل الفوائد ، وتنادى بذلك المصلحون ممن يقرون التعامل بالربا ، فكانوا يقولون : لاعلاج للأزمة إلا بإلغاء كل الفوائد ، ولا يكون واجبا إلا رأس المال .

إن الأمر لا يحتاج إلا إلى إيمان قوى ، وإخلاص دينى ، وعزيمة صادقة ، ونية مخلصة

لله ولرسوله .

٣٣ — بعد هذا نبتدى القول في الربا الذى ثبت بالسنة :

لقد روى مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الذهب بالذهب مثلاً بمثل ، والفضة بالفضة مثلاً بمثل ، والتمر بالتمر مثلاً بمثل ، والبر بالبر مثلاً بمثل ، والملح بالملح مثلاً بمثل ، والشعير بالشعير مثلاً بمثل ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، يبيعوا الذهب بالفضة كيف شئتم يداً بيد ، ويبيعوا البر بالتمر كيف شئتم يداً بيد ، ويبيعوا الشعير بالتمر كيف شئتم يداً بيد . »

هذا حديث صحيح تلقاه العلماء بالقبول . وهو الذى يدور عليه القول في الربا الثابت بالسنة ، وقد قلنا إن إطلاق كلمة « ربا » على هذا النوع من التعامل عرف إسلامى ؛ فهو كإطلاق الصلاة على القيام والركوع والسجود . ولذا جاء في أحكام القرآن للرازى : « إن العرب لم تكن تعرف بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة نساء بربا وهو ربا في الشرع ، وإذا كان ذلك على ما وصفنا صار بمنزلة سائر الأسماء المجعلة المفتقرة إلى البيان ، وهى الأسماء المنقولة من اللغة إلى الشرع لمعان لم يكن الاسم موضوعاً لها في اللغة نحو الصلاة والصوم والزكاة فهو مفتقر إلى البيان^(١) »

وإن هذا الحديث يدل على تحريم التبایع في هذه الأصناف الستة في صورتين :
إحدهما : أن يبيع الشيء منها بمجنسه كبيع ذهب بذهب ، أو فضة بفضة ،
أو قمح بقمح مع التفاضل بينهما بأن يكون أحد العوضين أكثر مقداراً من الآخر ،
ويسمى هذا ربا الفضل : أى الزيادة ؛ لأن فيه زيادة لأحد العوضين عن الآخر مع
التماثل في الجنس والفائدة .

الثانية : أن يبيع ذهباً بذهب مثلاً أو فضة بفضة ، أو قمحاً بقمح ، مع التماثل
في القدر ، أو يبيع ذهباً بفضة ، أو قمحاً بشعير من غير تماثل في القدر وهو مغتفر ،
ولكن لا يتم في هذه الحال التقابض في المجلس ، فإن ذلك يكون ربا ، ويسمى ربا
النساء ، وليس هو ربا النسيئة الذي يبيّناه من قبل .

وبهذا يتبين أنه عند اتحاد الجنس في هذه الأصناف تجب المائلة في المقدار ويجب
القبض في المجلس : أى يحرم الفضل ، ويحرم النساء معاً . وإذا اختلف في المعاوضة
الجنس بأن كان البيع مثلاً ملحاً بشعير وجب التقابض في المجلس وجاز التفاوت في المقدار
ويسمى ذلك ربا النساء كما ذكرنا .

٣٤ — هذا هو ربا البيوع الثابت بالسنة ، وهو موضع خلاف بين العلماء
في أصله ، وفي وقوفه عند هذه الأموال الستة ، أو دخول غيرها معها بالقياس ؛ وهو
الذى ذكر فيه عمر أن من الربا أبواباً تخفى ، وأنه ودّ لو أن النبي صلى الله عليه وسلم
بينه قبل أن يقبضه ربه إليه ، ولشئنا إلى خلاف العلماء في شأنه .

أول خلاف وأقدم خلاف جرى في ربا البيوع هو إنكار ابن عباس رضى الله
عنه له ، فقد كان يتمسك بأنه لا ربا إلا في النسيئة ، وهو الربا الذى ثبت بالقرآن ،
وهو ربا الجاهلية الذى بيناه ، واعتمد في ذلك على ما رواه هو وأسامه بن زيد ،
وزيد بن أرقم ، وعبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا ربا
إلا في النسيئة » وهو حديث صحيح رواه البخارى وغيره ، وقد وافق أولئك الذين
ذكرناهم ابن عباس في قوله ، وعلى ذلك لم يصح عندهم حديث التحريم . ولكن الجهمية
العظمى على أن ربا الفضل والنسيئة لا شك فيهما ، لورود الحديث المثلث لتحريمهما ، وإن
قصر النبي صلى الله عليه وسلم الربا على ربا النسيئة ، إنما هو لإثبات أنه الربا الكامل ،
وأنه ظلم في ذاته ؛ لأنه أكل للمال بالباطل ، وأخذ له بغير عوض مطلقاً ، وهو
استعمال للمال في غير ما وضع له ، وهو المحرم لذاته .

٣٥ — حق إذا فرغنا من خلاف ابن عباس ومن معه من صغار الصحابة رضى الله عنهم وانتقلنا إلى أقوال الفقهاء في ظل الحديث الذى حرم تلك البيوع ، وجدنا كلامهم فى كون الحديث معقول المعنى أم الأمر فيه تعبدى ، وإن جمهرة الفقهاء بلا ريب لا يعتبرون حديثاً محرماً لنوع من البياعات يكون الأمر فيه تعبدى ، لأن هذه التعبدات التى لا يسأل عن علتها إنما يكون موضعها فى العبادات ، لا فى المعاملات المالية التى تجرى بين الناس ، ولهذا اتفق الجمهور على أن التحريم فى حديث ربا البيوع معلل معقول المعنى . ولكن من الفقهاء من لا يثبت حكماً إلا بنص أو أثر عن الصحابة ، وأوائلك هم نفاة القياس وهم الظاهرية ، ومن سلك مثل مسلكهم ، وهؤلاء يقصرون التحريم على ما جاء فى الحديث ولا يقيسون عليه ، فربما الفضل وربا النساء مقصوران على التبادل بين الأنواع الستة المذكورة فى الحديث : وهى الذهب والفضة والقمح والشعير والملح والتمر ، فلا يقاس عليها غيرها وعلى ذلك يقرر هؤلاء أن يبيع غير هذه الأصناف بالتفاضل أو بالتأجيل يكون صحيحاً ؛ ولو كانت مقدرات بالكيل أو الميزان ، ولو كانت مطعوماً يقبل الادخار ، لأن الأصل هو الحل ، ولا دليل يمنع .

٣٦ — وقد خالف الظاهرية الفقهاء الذين يقيسون ، فلم يقصروا التحريم على هذه الأمور الستة ، بل وسعوا مدى التحريم فى كل ما تتحقق فيه علة التحريم . فربما الفضل والنساء عندهم لا يقتصر على الأصناف الستة المذكورة فى الحديث ، بل يتجاوزها ، فيبيع الزبيب بالزبيب لا بد فيه من التماثل فى المقدار والقبض فى المجلس ، ويبيع الزيت المستخرج من الزيتون مثلاً بمثله لا بد فيه من القبض فى المجلس والتماثل فى المقدار ، وهكذا .

ولكن اختلف الفقهاء الذين يقيسون فى علة القياس ، وتباينت أقوالهم تبايناً كبيراً ، جعل كل مذهب من المذاهب الأربعة ينهج منهاجاً خاصاً به فى استخراج العلة . ٣٧ — فأبو حنيفة وأصحابه اعتبروا العلة المحرمة اتحاد الجنس مع التقدير فى العوضين بالكيل بأن يكون كلاهما مكيلاً لا تعرف مقاديره إلا بالكيل ، أو بالوزن بأن يكون كلاهما لا يعرف مقداره إلا بالوزن ، فإذا بيع زيت من بذرة القطن بمثله فلا بد من التماثل فى المقدار ، والقبض فى المجلس ؛ وتسمى هذه العلة وهى الاتحاد فى الجنس مع الاتحاد فى التقدير — بأن يكونا مكيلين أو موزونين — العلة الكاملة ، وفى الحقيقة أن العلة فقط هى الاتحاد فى الجنس ، لأنه إن كان الاتحاد فى الجنس فلا بد أن يتحدد التقدير . وأما كونه مقدراً بالكيل أو الوزن فهو شرط تحقق العلة ، وإذا كانت العلة كاملة حرم الفضل والنساء .

والعلة الناقصة هي الاتحاد في التقدير مع اختلاف الصنف كأن يباع زيت من بذرة القطن بزيت من الزيتون ، وفي هذه الحال يحرم النساء ويحل التفاضل ، فيجب القبض في المجلس ؛ ولكن لا مانع من التفاوت في المقادير .

هذا منهاج الحنفية ، وهم بهذا لا يلتفتون إلى مادة البيع من كونه من الطعام أو الثمنية ، وكونه يقبل الادخار أو لا يقبل الادخار ، إنما يلتفتون فقط إلى نوع التقدير أهو بالكيل فيهما أم بالوزن منهما ، ثم اتحد الجنس أم لم يتحد . وبهذا جعلوا المقياس الضابط ، أو الوصف الظاهر المنضبط هو نوع التقدير أبالوزن أم بالكيل ، فإن اتحد العوضان في كونهما موزونين أو مكيلين حرم النساء ؛ وإن اتحدا مع ذلك في الجنس حرم الفضل والنساء .

ومع ما للفقهاء الحنفية من مقدرة في ضبط الأقيسة نخالفهم في أن العلة هي الكيل في العوضين أو الوزن فيهما ، وذلك للأسباب الآتية : —

أولها : أن علة التحريم لا تؤخذ من أداة التقدير للشيء ، إنما علة التحريم تكون في ذات الشيء ، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد خص بعض الأشياء بمنع التفاضل فيها عند اتحاد جنسها ، وضرورة قبضها عند بيع بعضها ببعض ، فلا بد أن يكون ذلك التحريم لأوصاف أو منافع خاصة في هذه الأموال ؛ لا لكونها تكال أو توزن .

ثانيها : أن الوزن والكيل ليسا وصفين ملازمين للأموال ، بل هما أمور عارضة . ومن الأشياء ما تعين مقاديرها في بلد بالكيل ، وفي آخر بالوزن ؛ فالزيوت يقدر بعضها في بعض البلاد بالكيل ، وفي آخر بالوزن ؛ وإن ذلك قد يؤدي إلى أن يكون نوع قد يتحقق فيه علة الربا في بلد ، ولا يتحقق في بلد آخر ؛ فيكون الشيء الواحد حراما لأنه ربوي في بلد ، وحلالا لأنه غير ربوي في بلد آخر ، ويكون للشارع في أمر واحد حكمان متناقضان .

ثالثها : أننا لو سائرنا هذا المبدأ لترتب على ذلك أنه يجب التقابض في أكثر البياعات ؛ فلو بيع زيت بذهب لوجب التقابض في المجلس ، ولو بيع تمر في مصر بفضة لوجب التقابض في المجلس ، ولو بيع الحديد الذي يقدر بالقناطر بالذهب لوجب التقابض ، وإن هذا لغريب ، ولذلك تدارك الفقهاء الأمر ، وأهملوا قاعدة الوزن أو الكيل فيما جرى العرف بالتفاوت في وزنها ، وقد ذكر من ذلك كمال الدين ابن الهمام بيع الحديد بالذهب ، فإنه ليس فيه نساء مع أنهما مقداران بالوزن إلا أن وزن هذا ليس من نوع وزن ذاك .

٣٨ — هذا رأى الحنفية ، وظاهر مذهب أحمد ، وينسب هذا النظر إلى عمار ابن ياسر رضى الله عنه . ولقد قال حذاق المالكية في علة التحريم بالنسبة للنقدين : الذهب والفضة إنه الثمنية : أى كونها أثمانا ، والأثمان لا يصح أن تكون موضع بيعات حتى لا يؤدي ذلك إلى الربا الأصلي المحرم لذاته ، وهو ربا النسيئة الذى ذكره القرآن الكريم ، ولم يختلف فيه أحد من الصحابة ولا التابعين ولا الفقهاء المجتهدين ، ولا غيرهم فى أى عصر من العصور ، فالعلة فى تحريم التفاضل والنساء فى النقدين هوسد الذريعة للربا الأصلي ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فإنى أخاف عليكم الرماء » والرماء هو الربا ، وفوق ذلك أن الأثمان مقاييس ضابطة للساع ، فهى التى تضبطها وتعرف قيمتها ، فلا يصح أن تكون هى ذاتها فى الأمة الواحدة سلعة تباع وتشترى وتجرى عليها المساومات ، ويجرى فيها التعجيل والتأجيل ، إلا أن يكون ذلك قرضا حسنا .

أما تحريم بقية الأنواع الستة عند المالكية فعلته هو الطعم : أى كونها من الأطعمة الضرورية لبنى الإنسان والادخار ، فالعلة مكونة من جزءين (أحدهما) كون هذه الأشياء من أنواع الطعام ، (وثانيهما) كونها قابلة للادخار ، فلو لم تكن أطعمة أو كانت أطعمة غير قابلة للادخار كاللحوم فى عامة أحوالها فى الجملة فإن الربا لا يدخلها ، وإذا توافر هذان الركنان واتحد الجنس حرم الفضل والنساء ، وإذا توافرا من غير اتحاد الجنس حرم النساء فقط ، ولا عبرة بكونها مكيلة أو موزونة إلا فى تعيين المقادير ليتحقق التفاوت فى ربا الفضل .

والحكمة واضحة فى هذا ، وهو منع بيع هذه الأصناف فى هذه القيود ، لكيلا يؤدي الأمر إلى احتكارها وهى أقوات الناس التى تقوم عليها حياتهم .

٣٩ — هذا نظر المالكية ، أو كما قال بعض الفقهاء نظر حذاقهم . وأما نظر سائرهم ومعهم الشافعى ورواية عن أحمد رضى الله عنه ، فهو كالرأى السابق ، غير أنه لم يشترط الادخار ، أى أن تحريم الربا بنوعيه فى بيع النقدين فكما ذكرنا آنفا ، وأما بقية الأنواع الأربعة فعلة التحريم هو كونها من المطعومات من غير أن يكون الادخار جزءا من العلة ، أو شرطا من شروطها ، وهذا موضع الفرق بين هذا الرأى وسابقه ، وعلى ذلك تكون هذه العلة أعم من سابقتها ، وأكثر شمولا ؛ لأنها تدخل ربا البيوع فى كل مطعم ، سواء كان مما يدخر عادة أم لم يكن ، فاللحوم يدخلها الربا ، وهكذا كل طعام لا يحل البيع فيه إلا مقابضة .

٤٠ — هذه هي الأنظار المختلفة في تخريج الحديث النبوي في ربا الفضل والنساء ، وهي أنظار خمسة ، أولها نظر ابن عباس ومن معه من صفار الصحابة ؛ وهو أنه لا ربا إلا في النسبة ، ثم نظر الظاهرية ، ثم نظر الحنفية ، ثم نظر حذاق المالكية ، ثم نظر الشافعية ، ولا شك أننا لا نختار نظر ابن عباس رضى الله عنهما ، لأننا لا نتبع غرائب الفتيا ، ولأننا لا نستطيع أن ننكر حديثاً تلقاه علماء الأمصار في كل الأقطار بالقبول . كما أننا لا نختار رأى الظاهرية ؛ لأن حديثاً جاء في معاملات الناس لا بد أن يكون له مرمى ومغزى يتصل بالتعامل ، بحيث تحقق ذلك المغزى فالحديث يتجه إليه ، وتنتهى أحكامه عنده ، وقد ذكرنا أننا لا نختار رأى الحنفية ، وقد بينا السبب الفقهي الذي سوغ لنا مخالفته .

وإذا كان ثمة ما يقبل التردد ، فهو في النظرين الآخرين ، وإنا نختار منهما بلاريب نظر حذاق المالكية وهم الذين يجعلون العلة في غير التقدين الطعم والادخار معا .

٤١ — وهنا نجد من اللازم أن نبين حكمة تحريم هذه البيوع . أما النقدان فقد ذكرنا أن التفاضل فيهما يؤدي إلى أن تكون سلعا ، وذلك خروج بها عن طبيعتها ، إذ أنها إذا صارت سلعا ضعفت قوة تحريمها ، ولكن لماذا حرم النساء فيها ولماذا حرم بيع درهم بدرهم على أن يؤجل القبض ، وما الفرق بين هذا وبين القرض الحلال الحسن . إنه إذا كان العقد عقد بيع وأساسه درهم بدرهم ، أو دينار بعشرة دراهم مثلاً ، فإنه من الغرر والجهالة . أن يكون أحد العوضين غير قائم وحاضر في المجلس ؛ لأنه ما دام القصد للمعاوضة فلا بد أن تكون المعاوضة على شيئين معينين ، وإذا أجل أحدهما فهو دين في الذمة فلا يكون معروفاً ، بل يكون أحد العوضين معروفاً ، والآخر غير معروف ، يسوغ في عرف عاقل أن يذهب رجل إلى صراف في مصرف ليقول اعطني عشر ورقات من ذات الخمس لأعطيك بعد أسبوع ورقة من ذات الخمسين ؟ إن ذلك لا يكون عقد صرف ، فلهذا المعنى المعقول حرم الصرف إلا إذا كان العوضان قائمين حاضرين ، ليعرف كل واحد منهما حقيقة العوض .

والفرق بين الصرف الذي يؤجل فيه أحد العوضين ، والقرض أن القرض أساس الاتفاق فيه أن يأخذ مقداراً من المال ، على أن يثبت ديناً في ذمته يؤديه في ميسرته ؛ فمعنى المعاوضة فيه وقت العقد مخفية ، ولذلك خرج الفقهاء على أنه تبرع ابتداء معاوضة انتهاء ، ويقول بعض الفقهاء إنه عارية استهلاك ، ولذلك قرر أبو يوسف من فقهاء الحنفية أن المقدار المقرض لا يثبت الضمان فيه إلا بعد استهلاكه في حاجاته ؛

لأنه قبل ذلك في حكم الأمانات ، وخالفه غيره وقال : إنه بمجرد قبضة يكون مضمونا . فالفرق بين بيع نقد بنقد نساء وبين القرض هو في طبيعة العقد نفسه ؛ فإن الحقيقتين مختلفتان ، ونهى النبي عن بيع النقد بالنقد نساء ، حتى لا يكون ذلك ذريعة إلى الربا الحقيقي ، وهو ربا الجاهلية ، بأن يزيد في نظير التأخير باسم البيع . ٤٢ — أما المطعومات القابلة للادخار فإن تحريم المعاوضة بأجناسها مع التفاضل ، الحكمة فيه واضحة ، وهى منع احتكارها لمن يملكونها ، فمن عنده شعير إذا باعه بشعير متفاضل ، فإن ذلك يؤدي إلى ألا ينال شيئا من عنده نقود وليس عنده شعير ، فضيق صلى الله عليه وسلم سبيل المقايضات فيها ؛ إذ أنه إذا تفايض من عندهم الأقوات أقواتهم وتيسر لهم ذلك تعجيلا وتأجيلا ، وتفاضلا وتساويا أدى ذلك إلى ألا ينال منها شيئا من عنده نقود وليس عنده قوت ؛ ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم من عنده تمر متفرق ردى بسمى كجمعا أراد أن يشتري به جنيا أى تمرأ جيدا مع زيادة الردى عن الجيد أمره بأن يبيع الجمع ويشتري بتمنه جنيا فقال له عليه السلام : « بيع الجمع بالدراهم واشتر بالدراهم جنيا » .

ولا شك أن في ذلك فائدتين : (إحداهما) أن من ليس عنده تمر لا جيد ولا ردى . وعندة نقود يحصل على التمر مطلقا ولو أجزت المقايضة مع التفاضل ماأكل هذا تمرأ قط ولا وصلت إليه حبة منه .

(الفائدة الثانية) أن قيمة الفرق تتعين تعينا دقيقا لا غبن فيه إذ دخلها المقياس النقدي الذى يقوم الأشياء والمواد .

٤٣ — لقد قررت أنى أقبل الحديث الصحيح ولا مناص لى من قبوله ، وإنى أختار فى تخرجه ما ارتآه حذاق المالكية ، ولكنى وجدت بعض الذين يسيرون وراء الأوربيين الذين تعلموا العربية يقولون : إن ذلك الحديث مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخترعه اليهود ليمنعوا العرب من الاتجار ، وتستمر التجارة بأيديهم ، ويتحكموا بذلك فى أسواق المسلمين ، ويزعمون أن ذلك نظر دقيق قد قاله أولئك الأوربيون ، وكانوا بذلك أعمق فيها من علماء المسلمين الذين لم يدركوا هذا فى كل العصور .

ذلك قولهم ، وليس غريبا أن نسمع ذلك من أولئك الذين رضوا أن يكونوا عبيدا للأوربيين حتى فى فهم دينهم ، إنما الغريب حقاً وصدقاً أن يدعى أن حديث الربا يصرف المسلمين عن الاتجار ، فسيكون بأيدي غيرهم ، ومن أجل هذا كذب اليهود على النبي فروجوا هذا الحديث . فإن هذا هو الغريب فى العقل حقاً وصدقاً .

٤٤ — إن حديث الربا يؤدي إلى تضيق البيع بالمقايضة في أنواع الطعام الذي يقبل الادخار ، وإن تضيق باب البيع بالمقايضة في أى باب من أبوابها لا يعد قطعاً لسبيل التجارة ، إنما هو تنمية للتجارة بكثرة البيع والشراء ، فهو يفتح باب الاتجار ويوسعه ، ويحرك البضائع ويجعلها سائلة بين الأيدي كلها لافي يد طائفة بعينها ؛ انظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « بيع الجمع بالدرهم واشتر بالدراهم جنيهاً » فإنه لو باع صاحب التمر الردي لصاحب التمر الجيد بمثله أو أكثر منه لا انحصرت المعاملة بينهما ، ولم تفتح للسوق باباً ، ولم يجر فيها التنمية المستمرة باستمرار الانتقال بين الأيدي ، لأن المتقايضين ليسوا متجرين ، إنما هم مستهلكون غالباً ، وإن فتح باب المقايضة يغلق باب الاتجار ، وعلى ذلك يكون تضيقها فتحاً لباب الاتجار .

إن التعامل بالمقايضة كما يقول علماء الاقتصاد هو من شأن الأمم التي لم تتسع نظمها الاقتصادية ، وإن إدخال النقود في التعامل كان فيه توسيع أبواب الاتجار ، والنبي صلى الله عليه وسلم في حديث الربا الخاص بالبيع قد حفظ للنقود قوتها في ضبط القيم وقياسها ، وضيق باب المقايضة في المعومات التي تدخر ؛ لتكون النقود سبيل التعامل ، فتكون حركة تجارية تمكن من لا عنده طعام أن يناله ، فيكون الاتجار بين المسلمين لأن يمنعوا منه .

٤٥ — أيها الأبناء الأعزّة : هذه قبسات قبستها من الشريعة وألقيتها بين أيديكم ، وقد حاولت أن أصل إلى الحق في كل ما قلت ، لا أبغى إلا أن أبين لكم وللناس حقيقة شريعتنا في ذلك الأمر الخطير ، لكي يكون بناؤنا الاقتصادي في المستقبل قائماً على دعائم من الأخلاق الفاضلة ، والهدى القرآني ، والشرع المحمدي ، وما كنت فيها إلا متبعاً لما جاء به القرآن الكريم ، وما قاله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإني فيما أكتب وفيما أبحث لا أتبع الرجال على أسمائهم ، ولا أكنى أتبع الحق ، وفقني الله وإياكم ، وهدانا إلى سبيل الرشاد ، وإلى تعرف هذه الشريعة ، وإعلام الناس بها من غير أن نخضعها للزمان ، بل نخضع الزمان لأحكامها . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

إثبات النواميس النفسية في القرآن

لأبي نعمان المهاجر

اقتضت حكمة الله سبحانه في كتابه العزيز أن يثبت قلب نبيه محمد عليه الصلاة والسلام بذكر نواميس الدعوة إلى الله ، وما يلاقى أصحابها من صعاب ومتاعب ، وما يضطرون إلى بذله من تضحيات جسام ، كما اقتضت أن تكون ذكرى تاريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منظومة أيضاً على العبرة العظيمة فيما أصاب المكذبين لهم من نقمات الله ومثلاته .

فلاجل المعنى الأول يقول الله سبحانه مخاطباً نبيه عليه الصلاة والسلام : « قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون » . فالله سبحانه وتعالى يعلم أن محمداً بشر من الناس يحزنه ما يحزنهم من الأذى والمكروه ، فلهذا أحزنه ما يقولونه في شأن رسالته من الكذب والتكذيب ، ثم يبين الله سبحانه لنبيه الحقيقة الرائعة ، وهي أن هؤلاء المكذبين لا يكذبونه في الواقع ، أي لا يعتقدونه كاذباً لأنهم يعلمون في تاريخ أخلاقه العظيمة ، وسجاياه الكريمة أنه ليس من شأنه الكذب والتضليل : « فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

ولكنهم يكذبون بآيات الله نفسها ، وفي هذا إثبات للحجة عليهم فإنهم إذا كانوا لا يعتقدونه كاذباً في تاريخ أخلاقه وسجاياه فهم يناقضون أنفسهم حين يجحدون آيات الله المنزلة عليه .

وتشاء الرحمة الإلهية بعد ذلك أن تخفف عنه عليه الصلاة والسلام ما به من حزن فتصور له عبرة الأنبياء من قبله في صبرهم على التكذيب والأذى ، وما يتبع ذلك من سنة الله في نصرتهم دائماً : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم النصر ولا مبدل لكلمات الله » وإن من الروعة بمكان عظيم أن تحدد نهاية الصبر بإتيان النصر ، أي أنهم يصبرون مادامت الحنة ، وما دام الأذى والتكذيب حتى تنتهي الحاجة إلى الصبر ، وينتهي ميعاد التكليف به ، بل وينتهي معناه وذلك

عند مجيء النصر ، فإذا كان الدعاء بهذه المنزلة في الصبر فإن سنة الله تقتضي نصرتهم لا محالة ، « ولا مبدل لكلمات الله » ، « ولقد جاءك من نبي المرسلين » : أى جاءك ما تعرف به يا محمد أن كلمات الله لم تتبدل مع أحد منهم .

وهكذا فالناموس الإلهي الثابت في تاريخ الأنبياء هو الناموس الثابت في تاريخ سوام ، وهو أن النصر لا يقع إلا لمن يستحقه من الصابرين ، والصبر يتحقق من الأنبياء بصورة قاطعة لأنهم الأئمة الذين يهدون بأمر الله ويعرفون نواميسه وشرائعه ، ويتحقق أيضا في سوام ممن ذهب في سبيلهم واهتدى بهديهم ، ولو في هذه الناحية فقط : ناحية الصبر ، والثبات ، والاستعداد ، فهذه هي سنة الله التي لا يغيرها من أجل أنبياء ولا مرسلين ، فلا يعطى النصر بغير أسبابه . ولا في غير حينه وأجله ، لذلك يخاطب حبيبه العظيم بهذه الصرامة القاهرة : « فإن كان كُبرَ عليك إعراضهم فإن استطعت أن تنبغى نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية » : أى لئن أعوزك الصبر وكبر عليك الإعراض فليس أمامك إلا المستحيل ، وهو النفق في الأرض أو السلم في السماء فإن الله لا يغير نواميسه . وهذا تمثيل رائع يضربه الله لنا ليصور الشبه بين المحسوسات والمعقولات ، ويجمعها معا في حكم واحد ، فكما أن الله سبحانه نواميس لا تتغير في العالم الطبيعي المحسوس ، فكذلك له نواميس لا تتغير في المجالات النفسية والقوى الأخلاقية . ثم تقول الآية الكريمة : « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » : أى أن الله سبحانه لم يشأ أن يغير من سنته في إثبات البلوى على خلقه ، ولو شاء لجمعهم على الهدى فلا تكونن يا محمد من الجاهلين لهذه السنة .

ويأتى بعد هذا البيان المعجز التصريح بهذه السنة النفسية الثابتة وذلك في قوله سبحانه : « إنما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون » : أى إنما يتأثر بالدعوة ويدعون لها أولئك الذين يستمعون إليها ، وهم على استعداد لقبول الحق غير مصرين على العناد والإنكار ، أما الذين أماتوا نفوسهم ، وقضوا على ما فيها من ملكات الهداية والإذعان والرشد ، فإنهم لن يرجعوا عن غيهم ، ولن يفتحوا أعينهم إلا يوم يبعثهم الله فتتجلى هنالك لهم وجوه الحق التي كانوا عنها صما وعميانا . وفي هذا أيضا تشبيه للموت المعنوي بالموت الجنائي ، وهو شائع في القرآن الكريم . قال الله سبحانه وتعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ،

ولا الظلّ ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات ، إن الله يُسمع من يشاء
وما أنت بمسمع من في القبور ، إن أنت إلا نذير .

هذا هو الجانب الأول من ذكرى تاريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهو
جانب التثبيت لقلب محمد عليه الصلاة والسلام .

وأما الجانب الآخر فهو تصوير العبرة الزاجرة للكافرين والمعاندين وتذكيرهم
بما حدث لأسلافهم من الأمم التي أصمت سمعها عند الذكرى والموعظة ، وأقفلت قلوبها
عن معاني الاعتبار والازدجار ، قال الله سبحانه وتعالى :

« ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ،
فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون ، فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا
بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين » .

أمانة راع

مرّ عبد الله بن عمر بن الخطاب براع مملوك ومعه غنم سيده ، فأراد أن يمتحن
أمانته فقال له : هل من جزرة (شاة تصلح لأن تجزر) ؟

قال الراعى : ليس ههنا ربيها

قال ابن عمر : تقول له « إن الذئب أكلها »

فقال له الراعى : اتق الله !

فسر ابن عمر واشترى الراعى من سيده وأعتقه ، واشترى الغنم أيضاً ووهبها له .

طبيعته للمجتمع الإسلامى

للاستاذ سيد قطب

(٢)

لقد جاء الإسلام فوجد جذور عهد الرق ما تزال ثابتة وعميقة . فابتدأ بالبشرية من هذا السفح ، ليأخذ بيدها إلى آفاقه الإنسانية العالية ، التى تهدف إليها مبادئه الكريمة . ولكنه — وهو دين الفطرة — لم يكن ليقفز بها قفزاً . والمهم أن تثبت أن مبادئه العليا التى تسبق اليوم آخر ما وصلت إليه البشرية فى خلال أربعة عشر قرناً كانت قائمة فيه منذ اليوم الأول . وأنه منذ ذلك اليوم قد أخذ بيد البشرية فى طريق الترقى إلى الآفاق المرسومة خطوة خطوة فكان التطور ، لافى مبادئه وأهدافه ، ولكن فى قرب البشرية يوماً بعد يوم من هذه المبادئ والأهداف . . وهذا ما ينفى فكرة التطور التاريخى من أساسها بالقياس إلى الفكرة الإسلامية وإلى نظام المجتمع الإسلامى .

لقد بدأ الإسلام بالبشرية من حيث هى ، ليربطها بعراة رباطا واقعيًا ، ثم ليقودها بعد ذلك فى مدارج الكمال . . جاء الرق نظام عالمى ، واسترقاق أسرى الحرب عرف دولى . وكان يملك أن يبطل الرق فى المجتمع الإسلامى بجرة قلم ، كما أبطل الربا . ولكنه فى هذه الحالة ما كان ليزيد على أن يترك الأسرى من المسلمين يسترقون عند أعدائه ، بينما يحرر هو أسرى الأعداء عنده . . ولك يطمع أعداء الإسلام فى المسلمين ، وهم يؤسرون للمسلمين فيتحررون ، ويأسرون المسلمين فيتخذون منهم عبيداً وإماء حسب العرف الدولى السائد فى ذلك الزمان .

لهذه الضرورة الواقعية التى لم يكن يملك الإسلام فى نشأته لها حلاً ، لأنه لا يملك أن يجبر الآخرين على تحرير الأرقاء ولا على عدم استرقاق الأسرى . ولا يملك أن يجعل أسرى المسلمين للكافرين وحدهم أرقاء ، بينما يحرر هو أسراء من الكافرين . . لهذه الضرورة الواقعية وضع الوسائل الكفيلة بتجفيف موارد الرق فى المستقبل ، حتى يصبح من الممكن عقد معاهدات دولية تمنع استرقاق أسرى الحروب . ولم ينص هو على استرقاقهم كى يدع الأمر مفتوحاً . بل أشار إلى إطلاقهم فقال : « فإذا أنخنتموهم

كذلك الأمر حين ننظر إلى موقف الإسلام من عهد الرق ، فننذ سيطرة الإسلام لم يعد للرق خصائصه التى عرف بها فى المجتمع الغربى . وكل علاقة الإسلام به أنه جاء فوجده قائما ، فأخذ فى تخفيف موارده ، بقصر أسباب الاسترقاق على الحرب الشرعية وحدها — وكان فى هذا يعالج الواقع كما أسلفنا — كما أخذ فى تفتيت مقوماته الاقتصادية بتقرير مبدأ التكافل الاجتماعى (الذى سنفصل القول فيه فيما بعد) ومقوماته القانونية بالتسوية بين جميع الناس فى الحقوق . ومقوماته الاجتماعية بإزالة الحواجز بين السادة والعبيد ، بل بتسوية الموالى وتوليهم القيادة .

لذلك كله يمكن القول باطمئنان : إن المجتمع الإسلامى لم يعرف عهد الرق ولا عهد الإقطاع ، ولم يعترف بخصائصهما التقليدية فى أية فترة من فترات التاريخ ؛ ولم يكونا أحد الأطوار التاريخية التى مر بها المجتمع الإسلامى .

ولقد عرفت المجتمعات الأوربية — بعد نظام الإقطاع — نظاماً جديداً هو النظام الرأسمالى . عرفته فى عهود تاريخية متأخرة . إذ بدأت بذوره مع الحروب الصليبية فى القرن الحادى عشر الميلادى : أى بعد ما اطلعت أوربا على النظم الاجتماعية الإسلامية وتأثرت بها ، فكرهت نظام الإقطاع الذى كان سائداً فيها . وهذا السبب يغفل أصحاب النظريات المادية لأنهم لا يريدون أن يُدخلوا العنصر الإنسانى فى خط سير التطور التاريخى . ويكتفون بإبراز الأسباب الاقتصادية التى صاحبت الحروب الصليبية ، ونشأة المدن التجارية فى جنوب أوربا .

واتباعاً لهذه النظرة يلخص الدكتور راشد البراوى فى كتاب «النظام الاشتراكى» أسباب انهيار النظام الإقطاعى وبروز النظام الرأسمالى فيقول :

« ذلك أن قوى إنتاجية جديدة ظهرت وصارت أصلح لتقديم الجماعة . وهذه القوى الإنتاجية الجديدة ما كانت لتستطيع أن تجد مجال نشاطها وعملها واسعا أو على الأقل ممكنا طالما استمرت العلاقات الإقطاعية قائمة من نواحها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

« وقد هيأت الحروب الصليبية الفرصة أمام أوربا للاتصال التجارى مع الشرق ، وخلقت فرصا واسعة أمام مدن جنوب أوربا ، وبخاصة مدينة (البندقية) التى حصلت على امتيازات تجارية فى المراكز التى احتلتها القوات الصليبية فى الشرق ، وأخذت البضائع الشرقية تتدفق على البندقية لتوزع على مختلف الأقاليم الأوربية ؛ ويقابلها من جانب أوربا المنتجات الصوفية والحبوب والخمور ؛ وتمتعت البندقية بشبه احتكار

ضخم ، وتجمع لدى تجارها ثروات ضخمة . الأمر الذى دفع بتجار مدن الشمال ، وبخاصة (لويك) و (دانتزج) و (همبورج) و (برزويك) إلى عقد محالفة تجارية للدفاع عن مصالحهم ؛ وأسسوا « عصابة الهانسا » وهكذا ظهرت المنافسة التجارية مما ساعد على ازدياد النشاط التجارى بين أوروبا والشرق ؛ واستطاع تجار هذه العصابة الحصول على امتيازات اقتصادية فى المراكز الرئيسية فى أوروبا ، مثل (برجن) فى النرويج و (نوجرود) فى روسيا و (بروكسل) فى الأراضى الواطئة . .

« هذا النشاط التجارى كان عاملاً حاسماً فى ازدياد القوة الاقتصادية للمدن التجارية وبالتالي أهلها : أى الطبقة البرجوازية . ولم يقف السبب فى ازدياد ثرائهم عند حد التجارة الخارجية ، بل إنهم كانوا يستغلون حاجة أمراء الإقطاع إلى الأموال ليسدوا بها نفقات حروبهم وحياتهم الخاصة ، فيقرضونهم مقابل فوائد باهظة . وأهم من هذا أن هذه المدن استطاعت أن تشتري حريتها من الأمراء الإقطاعيين سواء كان الأخيرون من العلمانيين أو من رجال الدين . وأكثر من هذا فقد نشطت الحرف وتنوعت منتجاتها عن ذى قبل ، وبهذا صارت الصناعة اليدوية مصدراً — وإن كانت أقل أهمية وخطراً من التجارة — لتجميع الأموال ؛ وبالتالي لزيادة نفوذ الطبقة البرجوازية . وهى التى كان لها الأثر الفعال فى العمل على هدم النظام الإقطاعى » . . .

ونحن — من جانبنا — لا نحب أن تغفل أثر العوامل الاقتصادية المعروضة هنا . ولكننا نرى أن التحكم البحت هو الذى يدعو إلى إغفال الأثر الإنسانى للاحتكاك بين جيوش الصليبيين وجيوش المسلمين ، وإلى تأثر الصليبيين بالأوضاع الإسلامية الحرة ، التى لا تعرف سلطة أمراء الإقطاع كما يعرفها المجتمع الغربى .. وتأثر الصليبيين بمشاهداتهم فى الأرض الإسلامية مسألة تاريخية ثابتة ، ففيم هذا التحكم لإغفال أثر الأوضاع الإسلامية الحرة فى نفوسهم ؟

وعلى أية حال فالثابت تاريخياً أن نظام الإقطاع — كما صورته الفقرات السابقة فى أوروبا — لم يكن له وجود فى الشرق الإسلامى وبخاصة فى الناحية الاقتصادية والناحية السياسية . . لم تكن هناك ارتباطات بين الأشراف وأتباعهم من ناحية التبادل ولا من ناحية الإشراف القانونى والسياسى ، فلم يتأثر المجتمع الإسلامى بالعوامل التى تأثرت بها المجتمعات الأوروبية ، ولم يسر فى الخط التاريخى الذى سارت فيه . ولم يكن لمولد النظام الرأسمالى فى أوروبا أثر فى خط سير المجتمع الإسلامى ، ولا فى الأسس التشريعية والنظم الاقتصادية التى تضمنتها شريعته قبل مولد النظام الرأسمالى فى أوروبا بحوالى ثمانية قرون .

ولقد توجد مشابه بين بعض النظم الإسلامية وبعض خصائص النظام الرأسمالى كحق الملكية الفردية . وحق الاستثمار الفردى ، وحق الإرث . . . ولكن علينا أن نذكر أن هذه الأصول قد تضمنتها الشريعة الإسلامية قبل مولد النظام الرأسمالى بثمانية قرون ؛ غير متأثرة بالعوامل التاريخية التى تأثرت بها المجتمعات الأوربية ، ولامعاصرة لقواعد التفكير الرأسمالى الذى جاء متأخراً جداً . وهذه الشابهة سطحية فى حقيقةها لأن النظام الاجتماعى الإسلامى نظام متكامل . ، غير مقيد ولا مقلد لأى نظام لاحق — وأسبقته تمنع منعاً طبيعياً من التقليد — والمهم أن نذكر دائماً أن سائر النظم قد تكون متأثرة أو غير متأثرة بجزئيات من النظام الإسلامى ، لأنها متأخرة عنه . أما هو فمن غير المعقول أن يكون قد أخذ منها . ومولده سابق على أقدمها بحوالى عشرة قرون . وشريعته ثابتة غير متأثرة فى أصولها بعوامل التطور التاريخى .

نقول : إن هذه المشابهات ليست إلا ظاهرية وجزئية . وأنا أعرف الكثيرين يرون الإسلام مثلاً يقرر حق الملكية الفردية وحق الاستثمار الفردى وحق الإرث فيتصايحون : نظام رأسمالى !

وبغض النظر عن اختلاف النشأة التاريخية للنظام الإسلامى والنظام الرأسمالى ، فإننا نعرض لبعض الموازنات الموضوعية بين قواعد النظامين هنا على سبيل الاجمال لتبين سطحية ذلك التصايح التقليدى !

إن الربا والاحتكار قاعدتان أساسيتان من قواعد النظام الرأسمالى . والربا والاحتكار محرمان تحريماً باتاً فى النظام الإسلامى . (وسيجىء تفصيل هذا فى مكانه) كذلك نجد أن انقسام المجتمع إلى دول قومية كان من المظاهر السياسية اللازمة لنشأة النظام الرأسمالى وهذه القومية الحادة هى التى حملت معها نظام الاستعمار للاستيلاء على الخامات واحتكار الأسواق ؛ باعتبار « الاستعمار أعلى مراتب الرأسمالية » كما يقول لينين . بينما الإسلام ينكر الشعور القومى الحاد ، ويتجه اتجاهاً عالمياً ، ويجعل حدوده هى حدود الفكرة لا تخوم الأرض . ومن ثم يستبعد فكرة الاستعمار لاحتكار الأسواق . وبذلك يتجه اتجاهاً مضاداً للتفكير الرأسمالى .

أما الملكية الفردية والاستثمار الشخصى والإرث وما إليها فتقوم فى الإسلام على أسس أخرى غير الأسس التى تقوم عليها فى النظام الرأسمالى . فالملكية الفردية ليست سوى وظيفة اجتماعية . أما أصل المال فهو لله والجماعة كلها مستخلفة فيه عن الله .

والأفراد نائبون عن الجماعة في استثماره بطرق تحددها الشريعة ، وليست مطلقة من كل قيد . وحق الجماعة فيه ثابت . فهو يرد على الجماعة كلما احتاجت إليه وبقدر الحاجة وحسبها . ومن ثم فالملكية الفردية في الإسلام شيء آخر غير الملكية الفردية في النظام الرأسمالي . شيء مستقل في أساسه وفي اتجاهه . والمشابهة ظاهرية وجزئية . وكذلك سائر الحقوق المترتبة على الملكية الفردية . . . (وسيأتى تفصيل هذا كله فحسبنا هذه الإشارة المجملّة في هذا اللقّام) .

هذه المشابهات الظاهرية الجزئية التي توجد بين النظام الإسلامي والنظام الرأسمالي يوجد مثلها أو أكثر منها بينه وبين النظام الاشتراكي والنظام الشيوعي . وهذا وحده كاف في الدلالة على أن النظام الاجتماعي في الإسلام ليس واحداً من هذه النظم لوجود بعض خصائص متفرقة فيها مجتمعة فيه . وذلك فوق أنه سابق عليها فهي قد تأخذ منه ولكنه هو لم يأخذ منها على وجه اليقين . وعلى أية حال فيحسن أن نمضى في بعض الموازنات الموضوعية بين النظام الإسلامي والنظام الاشتراكي ، ثم بينه وبين النظام الشيوعي بصفة إجمالية حتى يحىء التفصيل في مكانه .

لقد عجز النظام الرأسمالي عن مجازاة التطور الاجتماعي في أوربا .. « لقد كان دعاة النظام الرأسمالي — وبخاصة في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر — يعلنون أنه يقوم على مبدأ المنافسة الحرة ، وهي منافسة تنسجم فيها مصالح الأفراد والجماعات . وأخذ النظام الرأسمالي يسير في طريق تطوره ، وإذا بهذه المنافسة يتضاءل شأنها تدريجاً ، وإذا بالحياة الاقتصادية قد أصبح طابعها الاحتكار — وهو نقيض المنافسة — أما ذلك الانسجام الذي تحدث عنه الكتاب فقد وضع مكانه التعارض بين المصالح ، وارتفعت الأصوات تندد بهذه الظاهرة . الأمر الذي حمل الدولة على التدخل باطراد للحد من قوة هذا التعارض وخطورته ، ولرعاية مصالح الطبقات والطوائف الضعيفة والمستضعفة ومحاولة توفير الطمأنينة لها .. وتضخمت الديون الأهلية . وزادت أعباؤها بصورة بالغة ، وأصبحت عنصراً أساسياً من عناصر المجتمع الحديث ، وقوة تعمل على إضعاف بنيانة ومقدرته على المقاومة . ومن الناحية الدولية نجد أن الصراع بين الدول الرأسمالية الكبرى أدى إلى التنافس الشديد على مصادر المواد الأولية وأسواق السلع ورؤوس الأموال ، وهو التنافس الذي ينتهى بالصراع ، مما يدل عليه الحربان اللتان نشبتا في النصف الأول من القرن الحالى . فالحركة الاستعمارية التي نشطت في عهدها الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر ، بما اتصفت به من متناقضات

ومنازعات وحروب إن هي إلا مظهر للتطور الرأسمالي الاحتكاري^(١) .
عندئذ - ولهذه الأسباب - اتجهت انجلترا بصفة خاصة إلى الاشتراكية ، كما
اتجهت روسيا إلى الماركسية . وإن كانت قد أحدثت فيها تغييرات عملية هامة تكاد
تخرجها عن طبيعتها النظرية الأولى . وكل ما تضمنته الاشتراكية وتضمنته الشيوعية من
مبادئ إنما جاء وليداً لتلك التطورات التاريخية ، أما المبادئ التي جاءت في النظام
الإسلامي في هذا الاتجاه فهي ذاتية أصيلة في النظام الإسلامي . تضمنتها الشريعة
الإسلامية يوم جاءت من عند الله قبل أربعة عشر قرناً ؛ وقد جاءت لتصوغ المجتمع
على وفقها ، لا لأن التطورات الاجتماعية هي التي ولدتها : أي أنها كانت قوة دافعة
للتطور الاجتماعي لنتيجة تبعية له . وعلى حين تؤدي المبادئ الاشتراكية أو الماركسية
دورها التاريخي وتنتهي بسبب أنها نتيجة تبعية للتطور ، لا قوة دافعة للتطور .. على
حين ينتهي دور هذه المبادئ عند حد معين ويحتاج المجتمع إلى مبادئ جديدة ،
فإن مبادئ الإسلام تظل تعمل لأنها أكبر من الحاجات الوقتية للبيئة بسبب أنها لم
تكن وليدتها ، بل كانت وستكون محركاً لها في طريق الرقي الدائم المرسوم منذ
أربعة عشر قرناً .

إن الاشتراكية تلتقي مع الإسلام في نقط كثيرة في الجانب الاقتصادي ..
تلتقي معه مثلاً في محاولة ضمان حد أدنى لائق للأفراد من حيث العمل والسكن
والصحة والتعليم . وتوفير العمل للمواطنين جميعاً بوصفه حقاً من حقوقهم الأساسية ..
وتلتقي معه في أنها لا تدعو إلى القضاء المطلق على الملكية الفردية . مع تأمين المرافق
المتصلة بالموارد العامة للثروة كالمناجم .. وتلتقي معه في التقريب بين مختلف طوائف
المجتمع ، ومنع الإسراف الذي لا مبرر له ، وامتصاص الثروة الفائضة حتى يتوافر
للدولة المال الكافي لمواجهة الأعباء الاجتماعية للشعب كله . واتخاذ التأمين الاجتماعي
والضمان الاجتماعي قاعدتين أساسيتين للتكافل الاجتماعي .

ولعل هذا الالتقاء هو الذي يوجد تلك الشبهة عند الدعاة الإسلاميين أنفسهم ،
فيحدثون عن « الإسلام الاشتراكي » وعن « اشتراكية الإسلام » وعن « الاشتراكية
الإسلامية » وما إليها ..

ولكن الواقع أن أسبقية النظام الإسلامي تمنع من إعطائه وصفاً لاحقاً .
هذا من ناحية الشكل . أما من ناحية الموضوع فالإسلام نظام متكامل تجيء فيه

(١) كتاب النظام الاشتراكي للدكتور راشد البراوي .

هذه الاتجاهات مرتكئة إلى أصول ثابتة ، ومعتمدة على فكرة كلية متناسقة الأجزاء متصلة بالعقيدة في الله . . بينا الاشتراكية فكرة مادية عن الحياة لا تتناول غير الجانب الاقتصادي في حياة المجتمع . ومن ثم فهي جزئية ووقئية . بينا النظام الإسلامي كلى ودائم . ومن ثم لا يجوز ربطه بنظام ولدته ضرورة طارئة ومصيره إلى التحور أو إلى الزوال . فضلا على أنه هو الأصل الذي تقرر الاشتراكية إليه ، فيقال : إن فيها ما يشبه الإسلام في كيت وكيت . ولا يجوز أن يقرن الإسلام إليها وهو سابق عليها بثلاثة عشر قرنا من الوجهة التاريخية !

ثم يبقى هنالك فارق موضوعي أصيل ، وهو أن الاشتراكية بسبب أنها مذهب مادي اقتصادي بحت ، مجرد من العناصر الأدبية التي تمازج النظام الاجتماعي في الإسلام . لهذا السبب يمكن أن يقوم في ظلها استعمار خبيث كالاستعمار الإنجليزي ، دون ما حرج ولا تعارض مع صلب النظام الاشتراكي . الأمر الذي لا يمكن أن يتم في ظل النظام الاجتماعي الإسلامي ، بسبب ارتكان هذا النظام إلى عقيدة أدبية تنكر هذا اللون من الاستعمار إنكاراً باتاً . . إن النظام الاجتماعي في الإسلام نظام إنساني عالمي ، أما النظام الاشتراكي فنظام قومي محلي . . وهذا الفارق الأساسي في طبيعة النظامين تترتب عليه فروق كثيرة ، تجعل المشابهات بينهما مجرد اتفاقات ظاهرية وجزئية . .

أما النظام الشيوعي فتصطدم فكرته بفكرة الإسلام من أساسها . ومع أن الشيوعية قد تلتقي بالإسلام في محاربتها للطغيان الرأسمالي ، وفي توفير الضروريات لكل فرد ، وفي أصل ملكية الجماعة للدال . . إلا أن التصادم بين طبيعتها وطبيعة الإسلام كلى وعنيف وعميق .

إن المادية الجدلية تنفي كل مؤثر في حياة البشر — بل في الكون كله — خارج عن الطبيعة المادية لهذا الكون . وبهذا تصطدم منذ الخطوة الأولى بالعقيدة في الله ، التي تقول بأن هناك إرادة عليا في الكون هي التي تصرفه . وإن كانت تصرفه وفق ناموس ثابت : « سُنَّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » .

وميزة العقيدة الإسلامية هنا أنها — وهي تثبت وجود الناموس الذي يجري الكون عليه ، وتقول : إنه ناموس لا يتخلف — لا تنسى أن هذا الناموس لا يوجد ذاته ؛ فتثبت تلك الإرادة العليا التي أوجدت الناموس ، وتفسر وجود الحياة على وجه الأرض ، ولا تهرب من هذه العقدة التي لا تجد لها المذاهب المادية حلاً بغير الهروب منها !

والمادية التاريخية تصغر من قيمة الدور الذي يؤديه الإنسان في تطوير الحياة ونظمها وقوانينها وعلاقاتها الاجتماعية ، أو تنفيه أحياناً ، وتجعل الدور الأساسى لأداة الإنتاج « بحسب هذه النظرية تجد أن الأسباب النهائية لكافة التغيرات والتحولات الأساسية يجب البحث عنها لا في عقول الناس ، أو سمعهم وراء الحق والعدل الأزيلىين ، وإنما في التغيرات التى تطرأ على أسلوب الإنتاج والتبادل » كما يقول « إنجلز » صديق كارل ماركس وزميله في صياغة النظرية . ذلك بينما الإسلام يعد الإنسان خليفة الله فى الأرض ويجعل له الدور الأساسى فى كل ما ينشأ على وجهها من تغيرات .

وستحدث عن هذا المعنى بالتفصيل — فيما بعد — ولكن حسبنا هنا أن نقول: إن للنظرة الإسلامية وللنظرة الشيوعية إلى الإنسان أثرهما فى صلب النظامين . فالشيوعية حين تحتقر الدور الإيجابى للإنسان فى هذه الأرض تحتقر هذا الإنسان ضمناً ولا تعنى بأكثر من توفير غذائه وحاجاته الجسدية ، وتفغل القهقهة الأدبية لإرادته وحرية ومشاعره . والإسلام حين يجعل الدور الإيجابى فى الأرض للإنسان يتأثر فى تشريعه لهذا الإنسان بتلك النظرة فيمنحه الاحترام الكافى لروحه وعقله وإرادته ، ويحاول أن يوفر له بجانب ضرورياته المادية كل ما يتفق مع كرامة الإنسان فى شعوره وفى حرية وفى علاقاته العائلية والاجتماعية ، وفى حقوقه على الدولة وشخصيته أمامها . . . إلخ . وعلى العموم فإن كلتا النظرتين تترك طابعها العميق فى معاملة هذا الإنسان فى كل حقل من حقول الحياة .

وبعد فإن الماركسية تغالى حين تدرس النظام الاجتماعى فى أوروبا ثم تقول : إن النتائج التى وصلت إليها نتائج عالمية ، وتعطى صيغة التعميم العلمى . . . والواقع التاريخى الذى بين أيدينا ينقضها من أساسها ؛ ويثبت أنها أولاً نتائج جزئية خاصة برقعة من الأرض ، غير منطبقة إطلاقاً على الرقعة الإسلامية الضخمة فى أى دور من أدوارها التاريخية . كما يثبت ثانياً أن الاعتدال العلمى كان يقتضى أن يحسب حساب عوامل أخرى فى التطور الاجتماعى ، غير العوامل الاقتصادية . . . إن للاقتصاد قيمته وأثره من غير شك . ولكن فى الكون شيئاً آخر بجانب الاقتصاد هو الشعور الإنسانى ، وشيئاً آخر بجانب الآلة هو هذا الإنسان !

وأخيراً فإننا نخرج من هذا الموضوع بالحقيقة التى لا اعتساف فيها . . . إن النظام الإسلامى ليس هو الرق ، وليس هو الإقطاع ، وليس هو الرأسمالية ، وليس هو الاشتراكية ، وليس هو الشيوعية . . . إن النظام الإسلامى هو فقط . . . النظام الإسلامى .

شامبليون !

أهذه شامبليون التي كانت في يوم قريب مدينة متلاثة عملاً العين وتشق الموج متهادية
تخطر من نفر إلى نفر ؟ .

أهذا الركام المتحطم الدليل ... هو الذي كان بالأمس « شامبليون » الجميلة ناقلة
الأحياء من شاطئ إلى شاطئ ؟ !

ماذا دهمي الباخرة الجميلة فطمس معالمها ، وأذهب روائها ، وربماها كبيرة تمتطيها
ذرى الموج ، ويعيث بها الزبد الهاثج في مياه بيروت ؟ أين ذهب ذاك الجمال ؟ أين غاب
ذاك الرواء ؟ ... أدبر كما تدبر الأيام ... وأبى القدر الماتى إلا أن يقضى الجمال نحبه
على مرأى من الأعين المشدوذة الزائفة ... وعلى بعد مائتي متر من الشاطئ . (لا أكثر)
ومع ذلك عجزت حيلة البشر أن تعد لها يداً ، وأنزل القدر بها ضربته غير منازع ،
وقضى عليها بالدمار ، كما أذن لها من قبل بالحياة ، ولم يعد فارق — حين استعلن القدر
القاهر — بين مائتي متر وآلاف الأميال ، ولا بين زورق من زوارق الإنقاذ التي انقلبت
بأصحابها وشامبليون الضخمة التي شق الموج العاصف صدرها ...

وبادرت دول كثيرة إلى إرسال قطع من أسطولها للإنقاذ ، فشلت محاولاتها الهائلة
جميعاً ، ونجحت محاولة واحدة قام بها فتي « مسلم » من بيروت ، أنقذ بها أكثر أهل
السفينة ، وكان أكثر الفرق من البحارين الذين اعتمدوا على سواعدهم حين هجم شبح
الموت ... فطوام ساعد أعني وأشد ... وهذه عبرة ساخرة تدوقها لغة الأقدار الرهيبة ...
الأقدار التي لا تموزها الأسباب حين تنشأ أمراً ، ولا ينزع مشيئتها أمراً وإن توفرت كل
أسبابه ودواعيه : « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » .
ورأى الناس في الفتي البيروتي قوة « فتي مسلم » ... فكيف لو رأوا فيه وفي أمثاله
قوة « الإسلام » ؟ !

تباركت ياخالق الموت والحياة ، وتمالت قدرتك وحدك يامالك البحر والبر والأرض والسماء !
أنت وحدك تعلم كيف قضى ركايبها لياليهم قبل الليلة الليلية ، وأنت وحدك تعلم كيف
لم يجدوا غير بابك باباً يدقونه حين انقطعت بهم سبل الرجاء ، وأنت سبحانه الذي قلت :
« ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً . وإذا مسكم
الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ،
أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ، أم أمنتم
أن نعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيفرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيها ؟ ؟ »

من فقه القرآن والسنة

شروط البيع

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

بعد أن بينا في الكلمة السابقة المنهج الذي يجب اتباعه في سبيل استخلاص الفقه من كتاب الله وسنة رسوله المصطفى ، وذكرنا أهم المراجع التي ينبغي الرجوع إليها في هذه الناحية وكلها خاصة بآيات وأحاديث الأحكام الفقهية ، نبدأ باسم الله بالكلام موضوعيا في باب المعاملات المالية .

ولعل أهم هذه المعاملات ما يدخل تحت عنوان البيع على ضروبه العديدة المختلفة ، وبحث البيع يتطلب الكلام على شرعيته ، وأركانه ، وكيفية انعقاده ، وما قد يكون فيه من خيار يمنع لزومه حال انعقاده ، ثم شروط البيع الصحيح شرعا ، إلى غير ذلك كله من المباحث التي عنى الفقهاء بها .

ولكن ، لعل من أهم هذه الموضوعات كلها موضوع شروط البيع الصحيح ؛ إذ متى عرفنا هذه الشروط نعرف في الوقت نفسه حكم البيوعات المختلفة والعمليات المالية التي تجري في هذه الأيام . ولذلك نرى — رغبة في حصر الموضوع وفي الإيجاز — أن نقصر البحث هنا في شروط البيع الذي يعتبره الشرع صحيحاً .

وقد رأينا ، بعد استعراض الآيات التي وردت في البيوع ، وكذلك ما يناسبها من الأحاديث والآثار ، أن هذه الشروط سبعة^(١) ، على أن في بعض هذه الشروط خلافا بين الفقهاء ، وهذه الشروط هي :

- ١ — أن يكون المبيع مملوكا للبائع .
- ٢ — وجوده تحت يده حين العقد .
- ٣ — أن يكون حلالاً يبيعه وتملكه وتملكه .
- ٤ — ألا يكون في العقد ربا .
- ٥ — أن يكون هناك سبب شرعي للبيع .

(١) لاضير علينا إن اختلف الفقهاء ، كما هو معروف ، في عدد شروط البيع الصحيح ، فقد رأينا أن نرجع في هذه الشروط إلى الكتاب والسنة وحدهما لا إلى كتب الفقه .

٦ — أن يكون الثمن حلالا التعامل به .

٧ — الإشهاد على البيع .

وإذا كنا رأينا أن تكون هذه الكلمة وما بعدها مقصورة على شروط البيع الصحيح ، فإن من الخير أن تقدم لذلك بكلمة عن فهم الفقهاء لآية : « وأحل الله البيع وحرّم الربا » من سورة البقرة ، فإن هذه الآية — مع ما جاء من سنة الرسول في معاملاته — هي أساس حل البيع وشرعيته . كما أننا سنرى أن الخلاف في فهم هذه الآية الجامعة يؤدي في رأى بعض العلماء إلى التوسيع في « ماصدق » البيع الجائز المشروع ، ويؤدي في رأى الآخرين إلى التضييق منه إلى حد كبير .

يرى أكثر الفقهاء ومفسرى آيات الأحكام أن كلمة « البيع » في هذه الآية يراد بها أوسع معانيها وأعمها ؛ فإن هذا اللفظ لم يتقدم له ذكر في القرآن من قبل هذه الآية حتى يكون خاصاً بضرب بعينه من البيوع ، بل عام يشمل كل ما يطلق عليه أنه بيع إلا ما نهى عنه شرعاً بعد ذلك بالكتاب أو السنة .

ولذلك يقول الإمام القرطبي عند تعرضه لهذه الآية : « هذا من عموم القرآن ؛ والألف واللام للجنس لا للعهد ، إذ لم يتقدم بيع مذكور يرجع إليه . . . وإذا ثبت أن البيع عام ، فهو مخصص بما ذكرناه من الربا وغير ذلك مما نهى عنه ومنع العقد عليه ، كالخمر والميتة . . . وغير ذلك مما هو ثابت في السنة وإجماع الأمة النهى عنه (١) » . ومعنى أن « البيع » هنا يراد به العموم ، أن الآية تدل على كل ما يطلق عليه أنه بيع جملة وتفصيلاً ، إلا ما ينهى عنه الشارع ويحرمه بدليل آخر من القرآن أيضاً أو السنة ، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء .

وذهب آخرون إلى أن الآية ليست من قبيل العموم ، الذى قد يبقى على عمومته وقد يدخله التخصيص ، بل من قبيل الإجمال الذى لا بد له من تفصيل . ومعنى هذا أن الآية تفيد حل البيع في الجملة ، ثم يكون التفصيل الذى يبين ما كان منه مباحاً وجائزاً بجانب المحرم غير الجائز ، وهذا التفصيل يكون بنص أو نصوص أخرى .

وهذا الفرق بين العام الذى قد يحتاج إلى تخصيص ، وبين الجمل الذى لا بد له من بيان وتفصيل ، فرق له خطره الكبير ، ولهذا يجب ملاحظة ذلك لفهم دلالة النص واستخراج الأحكام الفقهية منه . « فالعموم — كما يقول القرطبي — يدل على إباحة

البيوع في الجملة والتفصيل ما لم يخص بدليل ، والمجمل لا يدل على إباحتها في التفصيل حتى يقرن به بيان (١) .

على أن الاختلاف بين هذين الفهمين لتلك الآية ليس له أثر من الناحية العملية ؛ فإنها وإن أباحت — على الرأي الصحيح الذي رضى جمهور الفقهاء — حل البيع بعامة ، فقد جاءت السنة مخصصة لها . ذلك بأن العرب كانوا يتعارفون ضروباً مختلفة من البيع ، ومنها ما كان سبباً في أكل بعضهم أموال البعض بالباطل ، فجاءت السنة النبوية دليلاً لمخصص الآية ويبين ما يجب رعايته في البيع من شروط حتى يكون صحيحاً شرعاً .

وهذه الشروط يرجع بعضها إلى موضوع البيع نفسه أو الثمن ، ويرجع بعضها إلى المتعاقدين ، ويرجع بعضها الآخر إلى صفة العقد أو وقت حصوله . وفقد شرط من تلك الشروط ، قد يجعل العقد منهيّاً عنه : باطلاً أو مكروهاً . ثم إن النهي عن عقد من عقود البيع قد يرجع ، في التحليل الأخير ، إلى ما فيه من الربا ، أو إلى أنه يؤدي إلى أكل مال الغير بالباطل . ولهذا يرى القاضي ابن العربي بحق أن كل مانعت عنه السنة من البيوع قد أحاطت به هاتان الآيتان : « وأحلّ الله البيع وحرّم الربا » من سورة البقرة ، « لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » من سورة النساء (٢) . والآن ، نأخذ في الكلام على الشروط التي ذكرنا آنفاً ، شرطاً بعد شرط ، وهي في معظمها مما يرجع إلى المبيع أو الثمن ، كما أن في بعضها خلافاً بين الفقهاء كما ذكرنا من قبل .

أولاً — ملكية المبيع :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام نهى عن بيع الغرر ، كما روى عن نافع عن عبد الله بن عمر عن الرسول أنه نهى عن بيع جبل الحبلة . ونجد ، مع هذين الحديثين ، أحاديث أخرى تنهى عن هذه البيوع ونحوها لاجابة لذكرها الآن ، على أنه سيأتي الإشارة إلى بعضها . وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل سلف وبيع ، ولا شرطان في بيع ، ولا ربح ما لم يضمن ، ولا بيع ما ليس

(١) نفس المرجع ، ص ٣٥٧ . وارجع إلى أحكام القرآن لابن العربي أيضاً ، ج ١ : ١٠١ —

١٠٢ ، ففيه كذلك أن الآية من باب العموم لا الإجمال .

(٢) أحكام القرآن ، ج ١ : ١٠٢ — ١٠٣

عندك». وأخرج أبو داود في سننه عن حكيم بن حزام «أنه قال : يارسول الله ، يأتيني الرجل فيريد البيع ليس عندي ، أفأبتاعه له من السوق ؟ فقال : «لا تبع ما ليس عندك» . وهذان الحديثان اللذان جاء فيهما النهي عن «بيع الفرر» وعن بيع الإنسان ما ليس عنده ، من الأحاديث التي نحبكم كثيرا من المعاملات حق في أيامنا هذه ، وبخاصة ما يجري منها في «سوق العقود» ، وهذا ما سنبحثه بالتفصيل فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وبيع الفرر هو البيع الذي فيه مخاطرة ، والنهي عنه — كما يقول النووي في شرحه لصحيح الإمام مسلم^(١) — أصل عظيم من أصول البيوع ، ولهذا قدمه «مسلم» في صحيحه . ويدخل في بيع الفرر مسائل كثيرة غير منحصرة ؛ كبيع الحيوان الضال ، والشيء المذموم أو المجهول ، وما لا يقدر البائع على تسليمه وإن كان مملوكا له ، وما لم يتم ملك البائع عليه ، وبيع السمك في الماء الكثير ، والابن في الضرع ، والحمل في البطن ، وبعض الكومة من الطعام أو الحبوب إذا كان هذا البعض مبهما ، وبيع ثوب غير معين من أثواب ، ونظائر ذلك كله ، فكل هذا يبيعه باطل ، لأنه غرر من غير حاجة .

أما بيع حبَل الحَبَلَة ، فهو نوع من بيع الفرر ، ولكن نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان من خضروب البيع المتعارفة عند العرب في الجاهلية ، فقد روى نافع عن ابن عمر قال : كان أهل الجاهلية يتبايعون الجزور إلى حبل الحبلَة ، وحبَل الحَبَلَة أن تُتَنَجِج الناقة ثم تحمل التي تتجت ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك^(٢) .

هذا ، وقد قلنا من قبل في المنهاج الذي اصطنعناه للبحث ، إن تركيب بعض الآيات والأحاديث كان سببا لاختلاف الفقهاء في الأحكام الفقهية التي تؤخذ منها ، ومن ذلك هذا الحديث . فقد رأى طائفة منهم أن النهي عن بيع حبل الحبلَة ، هو النهي عن بيع يؤجل فيه الثمن إلى أن تلد الناقة ويلد ولدها . ويعضد هذا الرأي تفسير ابن عمر الذي روينا ، وبه قال مالك والشافعي ومن تبعهم .

ويرى آخرون ، أن المراد به النهي عن بيع ولد الناقة الحامل ، وبه قال ابن حنبل وغيره من الفقهاء ، وهو تفسير تعضده اللغة ولذلك ذهب جمع من أساطينها ، مثل

(١) ج ٤ : ٣

(٢) شرح النووي ، ج ٤ : ٤ . والحبلَة جمع حابل كظالم وظلمة ، يقال : حبلت المرأة فهي حابل والجمع نسوة حبلَة . والجزور : هو البعير ذكرا كان أو أنثى .

أبي عبيدة ومعمّر بن النثني ، والقاسم بن سلام ، وهو ما نميل إليه ، وإن كان تفسير الراوي يقدم إذا لم يخالف الظاهر^(١) .

ومهما يكن ، فإن هذه الأحاديث التي ذكرناها آنفاً تدل دلالة واضحة على أن يبيع الإنسان ما لا يملك غير صحيح شرعاً ، وهو منهي عنه لأنه ضرب من ضروب الغرر ، فهو بيع معدوم ومجهول وغير مقدور على تسليمه للمشتري . وفي بعض ذلك — فضلاً عن جميعه — ما يستثير الخصومات بين المتعاقدين ، على حين أن البيع يجب أن يقوم على التراضي ولا يحدث النزاع كما هو معروف .

وما ينبغي لأحد أن يذكر في هذا السبيل بيع الفضولي الذي تقره الشريعة ، مع أن البائع يبيع ما لا يملك . لا ينبغي هذا ، لأن هذا البيع ينفق صحيحاً للحاجة إليه أحياناً وفي كثير من الحالات ، لكنه بيع موقوف على إجازة المالك إن كان الفضولي يبيع عنه ؛ فإن لم يحزه بطل ، وإن أجازته صار لازماً ، وحينئذ يكون الذي باع في آخر الأمر هو المالك المبيع لا الفضولي الذي أدخل نفسه في العقد .

« الحديث موصول »

سر استقصاء لغة العرب على المستشرقين

قال العلامة الألماني « فريتاغ » في معجمه الكبير في اللاتينية والعربية : « ليست لغة العرب أغنى لغات العالم بحسب ، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العد ؛ وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجيا والأخلاق أقام بيننا — نحن الغرباء عن العربية — وبين ما ألقوه فيها حجاباً لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة » .

(١) وراجع النووي ج ٤ : ٤ — ٥ ، فتح الباري لابن حجر ج ٤ : ٢٨٤ — ٢٨٥

أَيُّهَا الْمُحْلِفُونَ !

لا... الله لا الملك

(٣)

أيها السادة :

إن سيداً عسكرياً من أمثال الكولونيل جوير (Col. Gwyer) الذي يحضر هذه الجلسة ، واسمه الكولونيل بيتش (Col. Beach) ذهب إلى بومباي ؛ وكما ورد في برقية لصحيفة بيونير (Pioneer) قابل هذا الضابط الشهم الذي قدم من قيادة الجيش في مملا بعض زملائه من مراسلي الصحف المحلية ووكالات الأنباء على مائدة مستديرة ، وكان مما صرح به بمناسبة إلقاء القبض على إخوان علي (Ali Bros.)^(١) مع أن القضية لم تزل في يد العدالة . (يقرأ من الجريدة) : فيما يتعلق باعتقال « إخوان علي » يقول الكولونيل بيتش كعسكري : « إنه كان جديراً بهؤلاء الذين يحاولون إغراء الجنود للانحلال من ولائهم للحكومة أن يتفكروا قليلا : هل يمكن للجندى الذي نكث ولاءه أن يعود موالياً لأى أمر مما كان موالياً له من قبل ؟ » .

ذلك قول الكولونيل بيتش كما يخبركم بصفته العسكرية . مرحى كولونيل بيتش ! (ضحك) إن ذلك يبدو رأياً سديداً ومنطقاً ممتازاً بالنسبة لجندى ! (ضحك) .
ولكن ، لأنكلمكم كمسلم لا جندى ، هل لى أن أسأل : من هو المغرور ؟ إن كل طفل يولد فى هذه الدنيا على الفطرة جندياً لله ثم يفتنه أمثال الكولونيل بيتش والكولونيل جوير بمن نصبوا أنفسهم للفتنة والتغريب فيبعدونه عن واجبه الأول وولائه الأواحد . وهل لنا أن نسأل كذلك هؤلاء أمثال بيتش وجوير : هل جنود الله الذين تحللوا مرة من ولائهم لله يمكن أن يعتمد على ولائهم لهم أو للغاية التى كسبوا من أجلها ؟ إن الواجب الأول على المرء ولاؤه لربه ، وإن القرآن يقول بأن أرواح البشر قبل أن تحل فى الأجساد سألها الله تعالى « ألسن بربكم قالوا بلى »^(٢) إذن فاشنقوا هذه الأرواح جميعاً أيها السادة ، فهناك كان أصل الاتفاق الذى تبحثون عنه لإثبات

(١) كان هذا التعبير يطلق على الشقيقتين محمد على وشوكت على لشدة ارتباط جهاد كل منهما بجهاد الآخر .

(٢) • وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا

هذه المؤامرة الإجرامية بموجب المادة ١٢٠ (١) و ١٢٠ (ب) (ضحك) . كلا أيها السادة . إن صاحبكم بيتش وأمثاله في قيادة جيش سلا ، وصاحبكم جوهر وأمثاله من قواد الجهة الغربية ، هم الذين يفتنون الجنود عن واجبهم . فإن كانت لديكم أية عقيدة ، وإن كان لديكم أى إيمان بالله ، فإن واجبكم الأول وولاءكم الأسبق إنما يكون لله رب العالمين . أليس ذلك هو واجب المسيحيين الذين يؤمنون بالله ؟ أليست تلك عقيدة الهندوك ؟ أليس واجب الهندوكي الأول طاعة ربه كريشنا ؟ . ثم بعد كل ذلك لا تزال تتكلم عن الولاء للملوك !

لقد أصدر كاتب إنجليزي ، مسيحي غير مسلم يدعى ه . ج . ولز (H.G. Wells) كتاباً رمزياً بعد الحرب (العالمية الأولى) عن الشعب البريطاني ولا أدري إن كان اتفق لأحدكم أن قرأه ، وعنوانه « مستر برتلنج يبصرها »^(١) فماذا يقول ؟ ماذا يرى مستر برتلنج المفروض فيه أن يكون الإنجليزي العادي خلال تلك الحرب المروعة ؟

إنه يقول : إن رأس الأمر الدين ، وإن غاية الأمر الدين ، والمرء الذي لم يبدأ حياته به لا يتمتع بحياة حقيقية ولا يجد المعنى الحقيقي للحياة . إن ولاءه الأول وواجبه الأوحد لله . . . قد يتمتع ببعض التكريم ، وقد ينال شيئاً من الولاء ؛ غير أن هذا الولاء وذلك التكريم بمقابلته بالولاء والإخلاص لله ، يذوى كالورقة التي يلفحها اللمب المشبوب ، فتذروها الرياح الأربع ، أو تلوث يد الممسك بها بالسواد .

ذلك ما كان يراه الرجل الإنجليزي العادي خلال هذه الحرب ، وهو قول نشر على الملأ . ثم بعد الحرب يتخذ شرع الله ظهرياً بالنسبة لنا في الهند لأن قانون البشر — ١٢٠ ب و ١٣١ و ٥٠٥ و ١١٧ — يستعلي على شريعة الله ! . . .

نما ينسب إلى المسيح أنه قال ... (تقاطعه هيئة المحكمة وتقف معلنة وقف الاستماع لجلسة اليوم قبل إتمام الجملة) .

مولانا محمد علي : لا بأس أيها السادة ، لقد أوقفتني المحكمة عند « المسيح » وسأحدثكم غداً عن ذلك القول الذي يعزى إلى المسيح . (وبذلك انتهت مرافعة مولانا محمد علي في يومها الأول^(٢)) .

« يتبع »

(١) (Mr. Britling Sees it Through)

(٢) آثرنا إغفال نشر بعض الفقر من الترجمة الخاصة بمناقشة المواد التي يستند إليها الاتهام مما

لا نجد للنشر ضرورة .

النشريع الجنائي الإسلامي

للأستاذ عبد القادر عوده

أركان السرقة

الركن الأول : الأخذ خفية

(٣)

تعدد الآخذين : إذا اشترك في السرقة اثنان فدخل أحدهما الحرز وبقي الثاني في خارجه ، وناول الداخل للخارج المسروق من وراء الجدار أو من فتحة الباب أو من نقب الحائط ؛ فيرى أبو حنيفة أن الأخذ غير تام بالنسبة للداخل والخارج معاً : فأما بالنسبة للداخل فلأنه وإن كان قد أخرج المتاع بفعله من الحرز ومن حيازة المجنى عليه إلا أن المتاع لم يدخل في حيازة الداخل وإنما دخل في حيازة الخارج ، ومن ثم فالأخذ غير تام بالنسبة للداخل ، ورأى أبي حنيفة في هذه المسألة تطبيقاً لنظرية اليد المعترضة التي سبق بيانها .

أما بالنسبة للخارج فيرى أبو حنيفة أن أخذه غير تام أيضاً لأنه وإن أدخل المسروق في حيازته إلا أنه لم يخرج من حرزه ولا من حيازة المجنى عليه وشروط الأخذ التام أن يخرج السارق الشيء من حرزه ومن حيازة المجنى عليه فيدخله في حيازته .

والأئمة الثلاثة ومعهم الشيعة الزيدية وأبو يوسف ومحمد صاحباً أبي حنيفة يرون أن الأخذ تام بالنسبة للداخل ، ويرون أن المتاع المسروق يدخل في حيازة الداخل ولو أنه أعطاه لزميله الخارج ، لأنه أقام هذا الزميل مقامه فسلّمه المسروقات . ولكنهم يرون ما يراه أبو حنيفة بالنسبة للخارج فلا يعتبرون أخذه تاماً^(١) .

(١) بدائع الصنائع ج ٧ ص ٦٥ — شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٣ — المذهب ج ٢ ص ٢٩٧ — أسنى المطالب ج ٤ ص ١٤٧ — مواهب الجليل ج ٦ ص ٣١٠ — شرح الزرقاني ج ٨ ص ١٠٤ — كشف القناع ج ٤ ص ٨٠ — المغني ج ١٠ ص ٢٩٩ — شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٨ .

والمفروض في المسألة السابقة أن الداخل أخرج يده بالمسروقات إلى خارج الحزر فتناولها زميله الخارج .

أما إذا أدخل الخارج يده في الحزر فأخذ المتاع المسروق من يد زميله الموجود بداخل الحزر فيرى أبو حنيفة أن الأخذ لا يعتبر تاماً بالنسبة لأيهما .

فأما الخارج فلا أنه لم يدخل الحزر فبهتكه هتكا متكاملاً وهذا تطبيق لنظرية الهتك للتكامل وقد سبق بيانها .

وأما الداخل فلا أنه لم يخرج المسروق من الحزر .

ولكن الأئمة الثلاثة ومعهم الشيعة الزيدية وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة يرون أن الأخذ يعتبر تاماً بالنسبة للخارج لأنه أخرج المتاع المسروق من الحزر ومن حيازة المجنى عليه وأدخله في حيازة نفسه ، ولأن ركن السرقة هو الأخذ وقد أخذ المسروق وليس ركن السرقة الدخول في الحزر .

أما بالنسبة للداخل فيتفق رأى هؤلاء الفقهاء مع رأى أبي حنيفة على أن الأخذ لا يعتبر تاماً بالنسبة له^(١) .

وإذا وضع الداخل المسروقات في وسط النقب فمد الخارج يده لأخذها بحيث اجتمعت أيديهما في النقب بموضع لم يخرجها الداخل من الحزر ولم يخرجها الخارج من الحزر فتعاوننا معاً على إخراجها وأخرجاه من الحزر فالأخذ تام بالنسبة لكليهما في رأى مالك^(٢) ، وهو كذلك عند أحمد وأبي يوسف من فقهاء الحنفية^(٣) . ولكن الشافعي يرى أن الأخذ لا يعتبر تاماً بالنسبة للخارج والداخل معاً لأن الخارج لم يأخذه من داخل الحزر ولأن الداخل لم يخرجها من تمام الحزر^(٤) أما عند أبي حنيفة فلا يعتبر أحدهما أخذاً لأن الخارج لم يدخل الحزر وبهتكه هتكا متكاملاً ولأن الداخل لم يخرجها من الحزر ، وعلى فرض أنه أخرجها فإن يداً أخرى اعترضت يده . ويرى الشيعة الزيدية في هذه المسألة رأى مالك^(٥) .

وإن دخل أحد السارقين إلى الدار فربط المسروقات بجبل وكان طرف الجبل مع آخر في الخارج فجرّ هذا الآخر المسروقات حتى أخرجها من الحزر فالأخذ تام من الخارج عند الشافعي وأحمد وأبي يوسف والشيعة الزيدية ، وليس تاماً من الداخل ،

(١) المراجع السابقة .

(٢) المدونة ج ١٦ ص ٧٣

(٣) كشف القناع ج ٤ ص ٨٠ - شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٣

(٤) أسنى المطالب ج ٤ ص ١٤٦ (٥) شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٨

أما عند أبي حنيفة فلا أخذ ليس تاماً لا من الداخل ولا من الخارج ولو أن الخارج أخرج المسروقات لأنه في إخراجها لم يهتك الحرز هتكا متكاملاً ، ويرى مالك أن الاثنين آخذان وأخذهما تام لأن فعل الرابط مصاحب لفعل الجاذب حال الإخراج من الحرز (١) .

وإذا دخلا معا في الحرز فصعد أحدهما إلى سطح المنزل وجمع الثاني المتاع المسروق فربطه بحبل فجروه من على السطح وألقى به إلى الخارج فكلهما أخذ أخذاً تاماً عند مالك وأبي حنيفة وأحمد ولا يعتبر الشافعي الأخذ تاماً إلا بالنسبة لمن ألقاه في الخارج أما من لم يخرج به فأخذه غير تام (٢) .

والشافعي يسير في رأيه على القاعدة العامة التي تقضى باعتبار من يخرج الشيء من حرزه ومن حيازة المجنى عليه ويدخله في حيازته أخذاً له أخذاً تاماً . أما من اعتبروا الرابط مخرجاً المتاع فقد اعتبروه مخرجاً على أسس مختلفة ؛ فمالك يعتبره مخرجاً لأن فعل الربط جاء مصاحباً لفعل الإخراج وهو يعتبر الشخصين مخرجين كلما تعاونا على إخراج المسروق وتصاحب فعلاهما ، فمثلاً في حالة ربط المسروق في حبل وجذبه يتعاون السارقان وتصاحب فعلاهما بحيث أن فعل الداخل لا يجعله مستقلاً بإخراج المتاع وفعل الخارج لا يجعله منفرداً بالإخراج : أي أن جذب الحبل في ذاته لا يخرج المتاع وربط المتاع في الحبل لا يخرج به ولا يكن الإخراج يأتي نتيجة للفعلين معاً ولتصاحب الفعلين ، أما إذا كان فعل أحدهما يجعله منفرداً بالإخراج فالقطع عليه وحده وعلى الثاني التعزير كما لو مد الداخل يده بالمتاع إلى خارج النقب فأخذه منه الخارج ، فالداخل هو الذي أخرج المتاع وفعله يجعله مستقلاً بإخراجه ، ويأخذ الحنابلة وأبو يوسف من فقهاء الحنفية بنظرية التعاون على الإخراج واستصحاب أفعال المخرجين — وسنستكمل فيما بعد على نظرية الإعانة — وتأخذ الشيعة الزيدية بهذا الرأي ، على أن فهم من يأخذ برأى الشافعي (٣) .

بطلان الحرز بمنع من تمام الأخذ : وإذا بطل الحرز قبل إخراج المسروقات منه فلا تتم شروط الأخذ خفية لأن شروط الإخراج من الحرز تنعدم وتكون السرقة

(١) المراجع السابقة وشرح الزرقاني ج ٨ ص ١٠٦

(٢) المدونة ج ١٦ ص ٧٣ — كشف القناع ج ٤ ص ٨٠ — المغني ج ١٠ ص ٢٩٨ — شرح

فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ أسنى المطالب ج ٤ ص ١٣٨

(٣) شرح الزرقاني ثامن ص ١٠٦ — شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٤ — المغني ج ١٠ ص

٢٩٧ ، ٢٩٨ — كشف القناع ج ٤ ص ٨٠ — شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٦ .

سرقة مال غير محرز ولا قطع فيها ، وإنما فيها التعزير . ومثل ذلك أن يؤذن للسارق بدخول الحرز لأن الإذن يبطل الحرز في حق المأذون له ، وكذلك تنقيب الحارس عن الشيء المرووق في حالة ما إذا كان المال محرزاً بحارس .

أما إذا أبطل الحرز بعد إخراج المسرقات فإن ذلك لا يؤثر على السرقة التي تمت بتمام شروط الأخذ خفية .

ويبطل الحرز عند الشافعي وأحمد والشيعة الزيدية بفتح الباب والنقب ، ولكنه لا يبطل بهما عند مالك وأبي حنيفة ، فإذا نقب شخص حرزاً أو فتح بابه ولم يسرق شيئاً جَاءَ آخر ودخل الحرز وسرق منه متاعاً فلا قطع على أحدهما عند الشافعي وأحمد والشيعة الزيدية لأن الأول لم يأخذ شيئاً فلا يسأل عن السرقة وإنما يسأل عن إتلاف الحائط ولأن الثاني أخذ المتاع من غير حرز والسرقة من غير حرز لا قطع فيها ، أما مالك وأبو حنيفة فيريان أن الأخذ تام بالنسبة للثاني الذي دخل وأخذ المتاع لأن النقب لم يخرج المالك عن كونه حرزاً^(١) .

ويرتب الحنابلة على القول بأن النقب يبطل الحرز أن الجاني لو نقب في ليلة ولم يأخذ شيئاً فعلم المالك بهتك الحرز وأهمله ، ثم جاء الناقب في ليلة تالية قبل إعادة الحرز فسرق مافي المنزل أوجاء في نفس الليلة بعد فترة كافية من إحداث النقب فسرق فإن الأخذ لا يعتبر تاماً لأن السرقة من غير حرز^(٢) .

وكذلك الشأن عند الحنابلة في حالة الإخراج على دفعات ، فإذا نقب الجاني الحرز فأخرج مادون النصاب ثم دخل فأخرج ما يقيم به النصاب فإن كان ذلك في وقتين متباعدين أوليتين لم يجب القطع لأن كل واحدة منهما سرقة مفردة وكلاهما دون النصاب ، وكذلك الحال إن كانا في ليلة واحدة وبينهما مدة طويلة ، أما إذا تقاربا فهما سرقة واحدة اببناء الفعلين أحدهما على الآخر ، وإذا بنى فعل أحد الشريكين على فعل شريكه فبناء فعل الواحد بعضه على بعض أولى^(٣) .

أما إذا علم المالك بهتك الحرز وأهمله فكل أخذ يعتبر مستقلاً مهما تقاربت المدة بين الأخذين والأخذ بعد العلم أخذ من غير حرز^(٣) .

ويلاحظ في هذا الباب أن الحرز عند الحنابلة لا يبطل بالنسبة لمحدث النقب إلا بعلم المالك أو باشتهار هتكه ، أما بالنسبة لغير الناقب فيبطل في الحال دون حاجة لعلم المالك .

(١) شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٧٠ - المغني ج ١٠ ص ٢٩٩ - أسنى المطالب ج ٤ ص ١٤٧

شرح الزرقاني ج ٨ ص ١٠٩ شرح فتح القدير ج ٤ ص ٢٤٣

(٣) كشف القناع ج ٤ ص ٨١

(٢) المغني ج ١٠ ص ٢٦٢

ويرتب الشافعيون على القول بأن النقب يبطل الحرز أن الجاني لو نقب في ليلة وسرق في أخرى كان أخذه تاماً موجباً للقطع إلا إذا كان النقب ظاهراً براه الطارقون والمارة أو علم به المالك فلم يعد الحرز (١).

أما الشأن عندهم في حالة الإخراج على دفعات فغير متفق عليه ، فإذا نقب شخص حرزاً ثم أخرج منه نصاباً على دفعات فبعضهم يرى الأخذ تاماً ولو أن الإخراج على دفعات لأن بعض فعله يبني على البعض الآخر ، وبعضهم يرى أن ما أخذه بعد الدفعة الأولى لا يعتبر أخذاً تاماً لأنه أخذ من حرز مهتوك ، وبعضهم يرى أن ما أخذ قبل اشتهار الهتك أو علم المالك به يعتبر أخذاً تاماً ، وما أخذ بعده لا يعتبر كذلك (٢).

ويتفق رأى الشيعة الزيدية في هذه المسألة مع رأى الحنابلة (٣).

ويلاحظ أن الحرز يبطل في الحال عند الشافعيين والزيديين بالنسبة للغير ، أما بالنسبة للنائب فلا يبطل إلا على الوجه الذي سبق بيانه وطبقاً للآراء المختلفة التي عرضناها .

والإخراج على دفعات يختلف حكمه عند مالك لأنه لا يرى بطلان الحرز بالنقب ولا فتح الباب ، وعنده أن العبرة بقصد الجاني ، فإن قصد الجاني ابتداء أخذ المسروق ولكنه أخرجه على دفعات فالأفعال كلها سرقة واحدة ، ويستدل على قصد الجاني بإقراره أو بالقرائن سواء كان يستطيع أن يخرج المسروق كله مرة واحدة فلم يخرج أو كان لا يستطيع أن يخرج إلا على دفعات ، أما إذا قصد الأخذ في كل دفعة قصداً مستقلاً فكل دفعة تعتبر سرقة مستقلة ، فإن أخرج فيها نصاباً قطع والالم يقطع (٤).

ويرى أبو حنيفة في حالة الإخراج على دفعات اعتبار كل دفعة وحدها فإن بلغت النصاب وحدها استحق المخرج القطع ، وإلا فلا ولو أن المخرج قصد أن لا يخرج في كل مرة نصاباً كاملاً تحايلاً منه (٥).

والإخراج من الحرز يختلف باختلاف نوع الحرز فإذا كان الحرز حرزاً بالمكان كالمنزل أو الدكان أو الجرن فيجب أن يخرج السارق بالسرقة من جميع الحرز حتى يعتبر الأخذ تاماً ؛ فمن سرق متاعاً من منزل يجب أن يخرج به إلى خارج المنزل فإن

(١) أسنى المطالب ج ٤ ص ١٤٧

(٢) المهذب ج ٢ ص ٢٩٥ - أسنى المطالب ج ٤ ص ١٣٨ - نهاية المحتاج ج ٧ ص ٤٢٠

(٣) شرح الأزهار ج ٤ ص ٣٦٨

(٤) شرح الزرقاني ج ٨ ص ٩٦

(٥) بدائع الصنائع ج ٧ ص ٧٧ ، ٧٨

نقله من غرفة إلى أخرى فلا يعتبر الأخذ تاماً ما لم تكن الغرفة التى نقل إليها المتاع المسروق حرزاً مستقلاً عن الغرفة التى كان فيها ، وإذا نقله إلى ساحة المنزل فلا يعتبر الأخذ تاماً إلا إذا كان المنزل مكوناً من مساكن مختلفة والساحة مشتركة للجميع .

إما إذا كان الحرز حرزاً بالحفاظ فإنه يكفي لاعتبار الأخذ تاماً أن يفصل بالمسروق عن مكانه أو يفصل به عن الحارس ؛ فالنشال يعتبر أخذه تاماً بمجرد أخذه النقود من جيب المحنى عليه وبمجرد شق الجيب وسقوط النقود منه ولو على الأرض .

فن القبازة سحر فى نظر المجربان

... وكان الرهبان يُعجبون بحذق العرب وإن كانوا يعززون اكتشافاتهم إلى السحر ، وإننى أنقل من بين العبارات الطريفة الكثيرة العبارة الغريبة الآتية التى وردت فى كتاب تاريخى لاتينى ، وذلك للدلالة على رأى أعداء العرب فى العرب . قال المؤرخ :

« اكتشف الكونت روبرت ويسكارد فى إحدى غزواته تمثالا على عمود رخامى متوج بإطار من نحاس منقورة فيه هذه الكلمة : « سأكون عند طلوع الشمس من اليوم الأول من شهر مايو صاحباً لتاج من ذهب » فلم يستطع أحد أن يدرك مغزاها . ولكنه كان عند الكونت روبرت أسير من عرب صقلية عنده علم الجفر ، بجميع أبناء هاجر ، فأخبر الكونت هذا بأن لديه مفتاح ذلك اللغز وبأنه يقول له معنى تلك الكلمة إذا أُطلق ، فوعده الكونت بذلك ، فأشار ذلك العربى عليه بأن يحفر حين طلوع الشمس من اليوم الأول من شهر مايو الحبل الذى يدل عليه منتهى ظل ذلك التمثال ، فصنع الكونت ما نصحه به فوجد كنزاً كبيراً . »

عن حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون

ترجمة الأستاذ عادل زعيتر

النظام الرأسمالي الجديد

للأستاذ السيد أبي الأعلى المودودي

نقلها إلى العربية السيد محمد عاصم الحداد

(٤)

أسباب الفساد :

٢ — ولقد كانت المغالاة هذه في مبادئ الاقتصاد الحر غلطة عظيمة في دور الانقلاب الصناعي ، خاصة لأن هذا الانقلاب قد جاء بتغيير أساسي في طريق الإنتاج ، وهو أن الأعمال التي كانت القوى الإنسانية والحيوانية تقوم بها من قبل ، أصبحت تقوم بها الطاقة الآلية . وكانت نتيجة ذلك أن أصبح عشرة رجال ينجزون من العمل ما كان ينجزه ألوف منهم . فمن صميم طبيعة هذا الطريق للإنتاج أنه يشغل قليلا من الناس ويعطل منهم العدد العديد .

في مثل هذا الطريق كانت الدعوة المطلقة للملكية الفردية وحرية السعى والمطالبة بأن لا تتدخل الحكومة في سعي الأفراد مبنية على الخطأ الفاحش من أساسها . كيف يمكن أن يباح لفرد أو طائفة من الأفراد أن ينشئوا بغنة معملا كبيرا لإنتاج نوع خاص من البضائع بمجرد أن بأيديهم من الوسائل والثراء ما يقدرون به على إنشائه ، ثم لا يأبهون في قليل ولا كثير لما قد يعود به عملهم هذا من الآثار السيئة على معيشة ألوف من أهالي البلاد ممن كانوا ينتجون ذلك النوع الخاص من البضاعة نفسها في بيوتهم ومتاجرهم ومعاملهم اليدوية الصغيرة ؟ وليس معنى ذلك أنه ما كان ينبغي أن تستعمل طاقة الآلة في صناعة المنتجات والأدوات أصلا ، إنما المراد أنه ما كان ينبغي أن يؤذن باستعمال هذه القوة إذنا مشاعا عاما ، وكان على الحكومة منذ أول الأمر أن تفكر في تهيئة الأسباب — في الوقت نفسه — لمعاش أولئك الذين جاءت هذه الصناعة الجديدة معطلة لهم ولشئون معاشهم . فلما لم يكن الأمر كذلك نشأت مسألة البطالة كمسألة مستقلة في المجتمع الإنساني على أوسع قدر لم يعهده التاريخ البشري من قبل ، وذلك بسبب طرق الإنتاج الميكانيكي . ومن المعلوم أن البطالة ليست مسألة خاصة ، بل هي

للموجب الأكبر والسبب الأعظم لكثير من معضلات الحياة الإنسانية للمادية والروحانية والحلقية والمدنية . ومن ههنا ينشأ السؤال : هل لفرد أو طائفة من الأفراد أن يتصرفوا في ملكيتهم على وجه تتولد منه مثل هذه المعضلات العديدة في الحياة الاجتماعية ؟ وكيف يسوغ لإنسان أن يحتج لهذا التصرف الظالم بأنه من حق الأفراد الممتازين الذين لا يزالون يسدون المعروف إلى المصلحة الجماعية ويخدمونها خدمة دائمة بأنفسهم ؟ أما الرأي في مثل هذه التصرفات الفردية بأن على الحكومة القومية أن تأذن بها إذناً عاماً ثم تسكت عليها وتغضض عنها عن الآثار التي تصيب حياة الأمة كلها من جراء أعمال شردمة قليلة من الناس ، فهو رأي لا يقوم على أساس معقول .

٣ — فلما عطل طريق الإنتاج هذا ألوفاً بل مئات الألوف من الناس واضطروا جميعاً أن يخرجوا من مدنها وقراهم وحاراتهم وأزقتهم ويقصدوا هؤلاء التجار وأصحاب المعامل والمصانع يلتمسون منهم لأنفسهم الرزق بطريق الجمالة أو المشاهرة كانت النتيجة الحتمية لذلك أن اضطر الجوع هؤلاء أن يشتغلوا عند أولئك الرأسماليين على قلة ما عرضوا عليهم من الأجر . ثم إنهم ما وجدوا المعاش كلهم ، بل ظل عدد كبير من الرجال القادرين على العمل من غير عمل دائماً ، والذين سعد بهم الحظ ووجدوا لأنفسهم الشغل ما كانوا ليساوموا الرأسمالي ليقبل لهم أحسن الشروط ؛ فإنهم هم الذين جاءوا إليه يلتمسون منه الرزق، وإنهم لولم يقبلوا ما عرض عليهم الرأسمالي من الشروط لما وجدوا شيئاً يسدون به رمق حياتهم ، ولو أنهم أصروا على شروطهم لوجد الرأسمالي ألوفاً غيرهم يتهافتون على أبوابه ملتجئين منه العمل يتنافسون في الوصول إليه على شروطه . وهكذا ثبت الخطأ في ماجأت به الطبقة « البورجوازية » من استدلال في تأييد مبدئهم القائل بأن الأجور العادلة المترتبة تستقيم بنفسها في المنافسة العامة بما يكون بين الأجير والمستأجر من التفاعل والأخذ والرد ؛ لأن المنافسة في هذه المعاملة كان يفقدها شرط العموم ، وإنما كانت صورة المعاملة هناك أن استأثر الرجل الواحد برزق ألوفاً من عباد الله واحتجزه لنفسه من دونهم ، ولما جاءوا إليه يتضورون من الجوع ، أبي أن يعطى العمل إلا واحداً من عشرة أو عشرين منهم ، فالظاهر في مثل هذه الأحوال أن القوة — قوة المساومة والبت في الأمر — تجمعت كلها عند رجل واحد . وليس في أحد من هؤلاء الألوف من ملتصق الرزق القدرة على أن يرغم هذا الرجل الواحد المستبد على قبول شروطه . فمن أجل ذلك كلما تمت وانتشرت الرأسمالية في دور الانقلاب الصناعي هذا عم في المجتمع الفقر والضييق والعسرة على ما كان فيه من البطالة . والذين قصدوا إلى مراكز الصناعة والتجارة الكبيرة واجتمعوا فيها ابتغاء

للكسب والأجرة والمشاورة وجدوا السبل ضيقة في وجوههم واضطروا أن يرضوا بالعمل المرهق ساعات طوالاً بالأجر الزهيدة . وأخذوا يعملون في المعامل والمصانع كالأنعام ، ويقضون أيام حياتهم في بيوت مظلمة ضيقة تشبه حرايض الماشية ؛ فساءت صحتهم ، وانحطت عقلياتهم وضمجحت أخلاقهم . وقد عملت فيهم يد الأثرة تأثيراً فاحشاً حتى زالت المواساة والمودة من قلوب الآباء والأبناء والإخوان وثقل الأولاد على الآباء والنساء على الرجال ، حتى ما بقيت ناحية من نواحي الحياة سليمة من الآثار السيئة لهذا الاقتصاد الحر الخاطئ المتطرف .

٤ - وزد على كل ذلك أن هؤلاء البورجوازية الذين كانوا أكبر دعاة إلى الديمقراطية والتسامح والحرية والذين جاهدوا جهاداً طويلاً وجادلوا جدالاً عنيفاً في نيل حق التصويت لأنفسهم بإزاء ملاك الأراضي ، لم يرضوا لينال حق التصويت أولئك الملايين من العامة الذين صاروا هم أولياء رزقهم ومالكى ناصية معاشهم ، وكانوا يرون لأنفسهم حقاً في أن يحددوا أسعار البضائع ومشاهرات العمال وأجورهم ، بل كان هؤلاء البورجوازية يصرون على أن من حقهم أن يعطوا ألقاً من العمال دفعة واحدة بأن يغلّقوا دونهم أبواب مصانعهم إذا شاءوا ويضطروهم بالحاجة إلى أن يرضوا بالعمل في مصانعهم على الأجور القليلة والمشاهرات الزهيدة ، ولكنهم ما كانوا ليسلموا للعمال بحقهم في الإضراب عن العمل والمطالبة برفع الأجور والمشاهرات . وكذلك كان هؤلاء البورجوازية لا يرون بأساً في أن يعزلوا ويعطوا عن العمل رجلاً اشتغل في معملهم أو متجرهم وما زال في خدمتهم حتى أدركه من الهرم أو المرض ما لم يعد بعده قادراً على العمل ؛ ولكن صراخ هذا العاجز الهرم المبعد عن العمل : إني قد أفنيت شبابي وقوتي في ترقية تجارتك أو صناعتك ، فمن لي الآن آوى إليه وأستجديه ما يقوم بأود حياتي ؛ فما هذا الصراخ في مسمع رجل من البورجوازية إلا كصيحة في الصحراء . فأت ترى أن البورجوازية نسوا ههنا تلك الحجة التي كانوا يستدلون بها على أن المصلحة الفردية هي الدافع الصحيح الوحيد إلى العمل . نعم ! إنهم لم يزالوا يذكرون عن أنفسهم أنه إن كانت لهم فرص المنفعة واسعة غير محدودة ، جاءوا بالعمل الكثير وتمت على أيديهم الخدمة للسعادة والرفاهية الاجتماعية بنفسها ، ولكنهم نسوا عن عمالهم والمستغلين في مصانعهم أنه من كانت منفعتهم ضيقة ، لا محدودة فحسب ، وكان حاله مفعماً بالآس ومستقبلاً مظلماً ، فما له أن يرغب في عمله ويشغل به عن طيب خاطر ويجهد فيه نفسه وقوته .

٥ — وعلى ذلك فقد تنكب هؤلاء طرق التجارة والصناعة الفطرية المترنة ، واخترعوا لمصلحتهم الذاتية طرقاً تخالف المصلحة الجماعية وتضادها في صميمها ، وترتفع بها الأسعار ارتفاعاً متصنعاً في السوق ، ويقف بها إنتاج الثروة ويدب ديب البطء في سير الرقى . فمن هذه الطرق أنهم يشترون بقوة ثرائهم أدوات الحاجة والبضائع الاستهلاكية ويدخرونها عندهم ادخاراً فاحشاً حتى تكاد تنعدم من السوق فيكثر لها الطلب طبعاً ؛ وهكذا يمكنهم أن يرفعوا الأسعار في السوق على وجه غير طبيعي .

ومنها أنه يتوسط بين منتجي البضائع ومستهلكيها الحقيقيين مئات من الناس يتبايعونها فيما بينهم واحداً بعد واحد معتمدين على أموالهم المدخرة في المصارف وما يملكون من وسائل المواصلات السريعة كالتليفون واللاسلكي ، حتى ترتفع بهذه العملية أثمانها بما يبال كل واحد منهم عليها من المنافع واحداً إثر آخر ، من غير أن يقوموا بخدمة في إنتاج هذه البضائع أو حملها أو إصلاح شأنها حتى يكون لهم استحقاق مشروع في نصيب من المنافع .

ومنها أنهم يحرقون البضائع المنتجة ويقذفونها في البحر مخافة أن تصل منها إلى السوق كمية كبيرة فتصير سبباً في نزول أسعارها .

ومنها أنهم ينتجون بفضل أموالهم الوفيرة و ثرواتهم المتجمعة شيئاً من أنواع الكماليات للترف والتنعيم ثم يرغبون الناس فيه وينشئون له الطلب فيهم بفضل الدعايات والإعلانات وتوزيعه فيهم مجاناً إلى غير ذلك من الحيل المتنوعة ويجعلونه من حاجات أولئك الفقراء والأوساط من الناس الذين لا يكادون يقدرّون على القيام حتى بضروريات حياتهم على الوجه الصحيح .

ومنها أنهم لا ينفقون أموالهم ولا يصرفون جهودهم في إعداد ما يفتقر إليه الناس أشد الافتقار في واقع الأمر ، ويبدلون أموالهم وجهودهم كلها في إنتاج البضائع والمنتجات التي لا حاجة للناس إليها ؛ وما ذلك إلا لأن النوع الأخير منها أجنب لأربح والمنفعة اليهم من النوع الأول .

ومنها أنه يحاول بعض الأفراد أو الطبقات تحلية منتجاتهم المضرّة للصحة ، الهدامة للأخلاق ، الفاضية على المدنية والثقافة ، يحاولون تحليتها بفضل أموالهم في أعين الناس ويرغبونهم فيها بأنعاش عواطفهم الدنيئة ويسلبونهم نصيباً وافراً من دخلهم القليل باللعب بعهولهم مع أن هؤلاء الأدهماء لا يكاد دخلهم يكفي لیسدوا به رمق حياتهم وأهلهم . وأضر هذه الطرق وأشدّها خطراً أنهم يغيرون على حقوق الشعوب المستضعفة

لأجل مصالحهم التجارية والمالية ، ويقسمون العالم إلى مختلف دوائر النفوذ والسلطة ويتقدم كبار التمويل والصناع والتجار في كل أمة يتخذون شعوبهم آلة لقضاء مآربهم وأغراضهم المتطرفة المتزايدة ويلقونهم في تناحر مستمر لا تكاد تنحل عقده في ميدان الحرب ولا في مؤتمرات الصلح .

فهل ترى أن بهذه الطرق تتم الخدمة المصلحة الجماعية بنفسها حقاً إن ترك الأفراد وشأنهم يعملون لمصالحهم الذاتية كيفما يشاءون ؟ كلا ، بل الحق أنهم أثبتوا بأعمالهم هذه أن الأثرة الحرة قلما تكون عادلة ، ولا سيما إذا ارتكزت في يدها القوة الاقتصادية والسياسية وكانت هي الواضعة للقانون ؛ ففي مثل تلك الظروف لا تبذل جهودهم في الغالب في خدمة المصلحة الجماعية ، بل بالعكس تصرف في طرق وسبل تؤثر المصلحة الفردية على المصلحة الجماعية ، ولا تبالي بها أصلاً .

« للبحث بقية »



دعاة الغرب

أرى الدنيا تضلّ تابعيها ولا تجزيهمو إلا خساراً
 بريق الغرب أغرام سناء فساروا خلفه أيان سارا
 يظنون الحضارة كل رأى يجلّهم به الإفرنج عارا
 ومن يبئن القصور على هشيم فليس يرى لها إلا انهيارا
 عجبت لمعشر ضلّوا سبيلا ونبراس الهدى فيهم أنارا
 فهل أعمتهم الشهوات عنه وألقت فوق أعينهم دثارا ؟ !
 تفقّوا كل تيار كذوب وكل مشرّع في الحكم جارا
 ومن تبع السراب يريد ماء يخبّ فالأّ ويلق به بوارا

عفيفي محمود

في الاسماعيلية

للإمام الشهيد حسن البنا

« في هدوء الإسماعيلية الجميل ، ومن
أبنائها المباركين البررة ، تسكونت أول نواة
لتشكيلات الإخوان المسلمين وشعبهم ،
حسن البنا »

(٢)

عقيدة الفطرة :

ثم هو في أثناء ذلك كله ، وخلال كل مجلس من مجالسه ، يطرق باب العقيدة الصحيحة فينمها ويقويها ويثبتها بما يورد من آيات الكتاب الحكيم ، وأحاديث الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، وسير الصالحين ، ومسالك المؤمنين الموقنين . ولا يعمد كذلك إلى نظريات فلسفية ، أو أقيسية منطقية ، وإنما يلفت الأنظار إلى عظمة الباري في كونه ، وإلى جلال صفاته بالنظر في مخلوقاته ، ويدكر بالآخرة في أسلوب وعظي تذكيري لا يعدو جلال القرآن الكريم في هذه المعاني كلها ، ثم لا يحاول هدم عقيدة فاسدة إلا بعد بناء عقيدة صالحة ؛ وما أسهل الهدم بعد البناء وأشق قبل ذلك ، وهي نظرة دقيقة ما أكثر ما تغيب عن إدراك المصلحين الواعظين .

في زاوية الحاج مصطفى بالعرفية

كانت هذه الزاوية الثانية هي الزاوية التي بناها الحاج مصطفى تقربا إلى الله تبارك وتعالى ، وفيها اجتمع هذا النفر من طلاب العلم يتدارسون آيات الله والحكمة في أخوة وصفاء تام .

ولم يمض وقت طويل حتى ذاع نبا هذا الدرس ، الذي كان يستغرق ما بين المغرب والعشاء ، وبعده يخرج إلى درس القهاوى ، حتى قصد إليه كثير من الناس ومنهم هواة الخلاف وأحلاس الجدل وبقايا الفتنة الأولى .

وفي إحدى الليالي شعرت بروح غريبة : روح تحفز وفرقة ، ورأيت المستمعين

قد تميز بعضهم من بعض ، حتى في الأماكن ، ولم أ كد أبدأ حتى فوجئت بسؤال :
 ما رأى الأستاذ في مسألة التوسل ؟ فقلت له : « يا أخى أظنك لا تريد أن تسألني عن
 هذه المسألة وحدها ، ولكنك تريد أن تسألني كذلك في الصلاة والسلام بعد الأذان ،
 وفي قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، وفي لفظ السيادة للرسول صلى الله عليه وسلم
 في التشهد ، وفي أبوى النبي صلى الله عليه وسلم وأبن مقررهما ، وفي قراءة القرآن
 وهل يصل ثوابها إلى الميت أولاً يصل ، وفي هذه الحلقات التي يقيمها أهل الطريق
 وهل هي معصية أو قربة إلى الله » . وأخذت أسرد له مسائل الخلاف جميعا ، التي
 كانت مشارفتة سابقة وخلاف شديد فيما بينهم فاستغرب الرجل ، وقال نعم أريد الجواب
 على هذا كله . فقلت له يا أخى إنى لست بعالم ، ولكنى رجل مدرس مدنى أحفظ
 بعض الآيات وبعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الأحكام الدينية من المطالعة
 في الكتب ، وأتطوع بتدريسها للناس فإذا خرجت بى عن هذا النطاق فقد أخرجتني ،
 ومن قال لا أدري فقد أفتى ، فإذا أعجبك ما أقول ورأيت فيه خيرا ، فاسمع مشكورا ،
 وإذا أردت التوسع في المعرفة ، فسل غيرى من العلماء والفضلاء المختصين ، فهم
 يستطيعون إفتاءك فيما تريد ، وأما أنا فهذا مبلغ علمي « ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها » .
 فأخذ الرجل بهذا القول ولم يجد جوابا ، وأخذت عليه بهذا الأسلوب سبيل
 الاسترسال ، وارتاح الحاضرون أو معظمهم إلى هذا التخلص ؛ ولكنى لم أزد أن
 تضعي الفرصة فالتفت إليهم وقلت لهم : « يا إخواني أنا أعلم تماما أن هذا الأخ السائل ،
 وأن الكثير من حضراتكم ، ما كان يريد من وراء هذا السؤال إلا أن يعرف هذا
 المدرس الجديد من أى حزب هو ؟ أمن حزب الشيخ موسى ، أو من حزب الشيخ
 عبد السميع ؟ وهذه المعرفة لا تفيدكم شيئا وقد قضيت في جو الفتنة ثمانى سنوات وفيها
 الكفاية . وهذه المسائل اختلف فيها المسلمون مئات السنين ولا زالوا مختلفين ، والله
 تبارك وتعالى يرضى منا بالحب والوحدة ويكره منا الخلاف والفرقة ، فأرجو أن
 تعاهدوا الله أن تدعوا هذه الأمور الآن وتجهدوا في أن نتعلم أصول الدين وقواعده
 ونعمل بأخلاقه وفضائله العامة وإرشاداته المجمع عليها ، ونؤدى الفرائض والسنن
 وندع التكلف والتعمق حتى تصفو النفوس ويكون غرضنا جميعا معرفة الحق لا مجرد
 الانتصار للرأى ؛ وحينئذ نندرس هذه الشئون كلها معاً في ظل الحب والثقة والوحدة
 والإخلاص ، وأرجو أن تقبلوا منى هذا الرأى ويكون عهداً فيما بيننا على ذلك » . وقد
 كان ، ولم نخرج من الدرس إلا ونحن متعاهدون على أن تكون وجهتنا التعاون وخدمة

الإسلام الحنيف ، والعمل له يداً واحدة ، وطرح معاني الخلاف ، واحتفاظ كل برأيه فيها حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً . واستمر درس الزاوية بعد ذلك بعيداً عن الجو الخلافى فعلاً بتوفيق الله ، وتخيرت بعد ذلك فى كل موضوع معنى من معاني الأخوة بين المؤمنين أجعله موضوع الحديث أولاً تثبيتاً لحق الإخاء فى النفوس ، كما أختار معنى من معاني الخلافات ، التى لم تكن محل جدل بينهم والتى هى موضع احترام الجميع وتقدير الجميع : أطرقة وأتخذ منه مثلاً لتسامح السلف الصالح رضوان الله عليهم ولوجوب التسامح واحترام الآراء الخلافية فيما بيننا .

مثل :

وأذكر أننى ضربت لهم مثلاً عملياً فقلت لهم : أيكم حنفى المذهب ؟ فجاءنى أحدهم ، فقلت : وأيكم شافعى المذهب ، فتقدم آخر ، فقلت لهم سأصلى إماماً بهذين الأخوين فكيف تصنع فى قراءة الفاتحة أيها الحنفى ؟ فقال أسكت ولا أقرأ ، فقلت وأنت أيها الشافعى ما تصنع ؟ فقال أقرأ ولا بد . فقلت : وإذا انتهينا من الصلاة فما رأيك أيها الشافعى فى صلاة أخيك الحنفى ؟ فقال باطلة لأنه لم يقرأ الفاتحة وهى ركن من أركان الصلاة . فقلت وما رأيك أنت أيها الحنفى فى عمل أخيك الشافعى ؟ فقال لقد أتى بمكروه محرماً فإن قراءة الفاتحة للمأموم مكروهة تحريماً . فقلت هل ينكر أحدكم على الآخر ؟ فقالوا : لا . فقلت للمجتمعين : هل تنكرون على أحدهما ؟ فقالوا : لا . فقلت : «ياسبحان الله ! يسمعكم السكوت فى مثل هذا وهو أمر بطلان للصلاة أو صحة ، ولا يسمعكم أن تتساحوا مع المصلى إذا قال فى التشهد اللهم صلى على محمد أو اللهم صلى على سيدنا محمد ، ويجعلون من ذلك خلافاً تقوم له الدنيا وتقعده » وكان لهذا الأسلوب أثره فأخذوا يعيدون النظر فى موقف بعضهم من بعض ، وعلموا أن دين الله أوسع وأيسر من أن يتحكم فيه عقل فرد أو جماعة ، وإنما مرد كل شئ إلى الله ورسوله وجماعة المسلمين وإمامهم إن كان لهم جماعة وإمام .

مجمع الإسماعيلية

قضيت على هذا الأسلوب أكثر من نصف العام الأول الدراسى بالإسماعيلية : أعنى ما بقى من سنة ١٩٢٧ ثم أوائل سنة ١٩٢٨ الميلادية ، وقد كان هدفى فى هذه الفترة دراسة الناس والأوضاع دراسة دقيقة ، ومعرفة عوامل التأثير فى هذا المجتمع

الجديد . وقد عرفت أن هذه العوامل أربعة : العلماء أولاً ، وشيوخ الطريق ثانياً ، والأعيان ثالثاً ، والأندية رابعاً .

فأما العلماء فقد سلكت معهم مسلك الصداقة والتوقير والإجلال الكامل وحرصت على ألا أتقدم أحداً منهم في درس أو محاضرة أو خطبة ، وإذا كنت أدرس وقدم أحدهم تنحيت له وقدمته إلى الناس . وكان لهذا الأسلوب أثره في أنفسهم فظفرت منهم بالكلمة الطيبة .

ومن النكات اللطيفة أن أحد قدامى المشايخ الذين قضوا بالأزهر الشريف سنوات طوالاً على نظامه الأول تقريباً — وكان من المولعين بالجدل والنقاش ومحاولة إحراج الوعاظ والعلماء والمدرسين بطرح مسائل غير مطروقة ، والتعرض لمعان وموضوعات مما تضمنته الحواشي القديمة والتقارير الدقيقة العميقة — حاول إحراجي ذات يوم وأنا أقص قصة إبراهيم الخليل عليه السلام على الناس فسألني عن اسم أبيه ، فابتسمت وقلت له : « يا مولانا الشيخ عبد السلام — رحمه الله — قالوا : إن اسمه « تاريخ » وإن آزر عمه ، والقرآن يقول إن آزر أبوه ولا مانع من أن يكون عمه لاستخدام ذلك في لغة العرب ، وقد قال بعض المفسرين إن آزر اسم للصنم لا لأبيه ولا لعمه وإن التقدير : « إذ قال إبراهيم لأبيه اترك آزر أتخذ أصناماً آلهة » . ، ونطقت بكلمة تاريخ بكسر الراء ، ولما كان هذا البيان شافياً لأمثالي رغم إيجازة ، لم يشأ أن يدع الموقف يمر في هدوء فقال : ولكن اسم أبيه تاريخ بضم الراء لا بكسرها . فقلت فليكن وهو اسم أعجمي على كل حال وضبطه الصحيح يتوقف على معرفة هذه اللغة ، والمهم العظة والعبرة . وأراد هذا الشيخ رحمه الله أن يتخذ معي هذا الأسلوب في كل درس ؛ ومعنى هذا أن يهرب العامة والمستمعون من هذا الجدل العقيم ويدعون للشيخين هذا الميدان الذي لا خيف فيه ؛ فكرت في علاج الشيخ فدعوته إلى المنزل وأكرمته وقدمت له كتابين في الفقه والتصوف هدية وطعاماًته على أنني مستعد لمهاداته بما شاء من الكتب ، فسر الرجل سروراً عظيماً وواظب على حضور الدرس والإصغاء إليه إصغاء تاماً ودعوة الناس إليه في إلحاح ، فقلت في نفسي صدق رسول الله : « تهادوا تحابوا » . واستمرت هذه الطريقة ناجحة إلى حين ؛ وللنفوس تقلباتها .

وأما رجال الطرق فقد كانوا كثرة كثيرة في هذا البلد الطيبة قلوب أهله ، وكان يتردد عليهم الكثير من الشيوخ ؛ ولا أنسى محالس الشيخ حسن عبد الله المسلمي ، والشيخ عبود الشاذلي ، والشيخ عبد الوهاب الدندراوي وغيرهم . وفي هذه الفترة

زار الإسماعيلية الشيخ عبد الرحمن سعد وهو من خلفاء الشيخ الحصافي ، فهو أخونا في الطريق حينذاك ، وكان يدرس ويعظ ، ويرأس بعد ذلك حلقة الذكر ، فقصص المسجد ولم أكن أعرفه ولا يعرفني ودرس ووعظ ؛ ثم دعا الناس إلى الذكر ، فرأيت أسلوب الطريقة الحصافية وتعرفت إليه أخيراً . ولكن الحق أنني لم أكن متحمساً لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها : أنني لا أريد الدخول في خصومة مع أبناء الطرق الأخرى ، وأنتي لا أريد أن تكون محصورة في نفر من المسلمين ، ولا في ناحية من نواحي الإصلاح الإسلامي ؛ ولكني حاولت جاهداً أن تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد ، وهي أركان الدعوة الإسلامية الجامعة (ومن أراد بعد ذلك تربية خاصة فهو وما يختار لنفسه) ، ولكني مع هذا أكرمت الشيخ عبد الرحمن وأحسنت استقباله ، ودعوت الراغبين في الطريق إلى الأخذ عنه والاستماع إليه حتى سافر . كما تعرفت في هذه الفترة إلى السيد محمد الحافظ التيجاني الذي جاء إلى الإسماعيلية خصيصاً ليحذر من دسائس البهائيين ومكائدهم ، وقد كان لهم في هذا الوقت دعوة ودعاة في هذه النواحي ، تقوى وتشد وتنتشر ، فأبلى البلاء الحسن في تحذير الناس منهم ، وكشف خدعهم وأباطيلهم والرد عليهم ، وقد أعجبت بما رأيته من علمه وفضله ودينه وغيرته وناقشته طويلاً — وكنا نسير ليالي عدة — فيما يأخذ الناس على التيجانية من غلو ومبالغة ومخالفات ؛ فكان يؤول ما يحتمل التأويل ؛ وينفي ما يصطدم بالعقيدة الإسلامية الصافية ويبرأ منه أشد البراءة . كانت طريقتي مع هؤلاء الشيوخ الكثيرين الذين يزورون الإسماعيلية أن أتأدب معهم بأدب الطريق وأخطبهم بلسانها ، ثم إذا خلونا معاً شرحت لكل منهم حال المسلمين وجهلهم بأوليات دينهم ، وتفكك رابطتهم وغفلتهم عن مصالحهم الدينية والدنيوية ، وما يهددهم من أخطار جسام في كيانهم الديني بزحف الإلحاد والإباحية على معسكراتهم ، وفي كيانهم الدنيوي بغلبة الأجانب على خيرات بلادهم ، وكان المعسكر غرب الإسماعيلية ومكاتب شركة قناة السويس في شرقها مدداً لا ينضب من الأمثلة على ذلك ، ثم أذكروهم بالتبعة التي على كاهلهم لهؤلاء الأتباع الذي وتقوا بهم ، وأسلموهم قيادهم ، ليدلوهم على الله ويرشدوهم إلى الخير ، ثم أطلب إليهم في النهاية أن يوجهوا كل جهودهم إلى إثارة أذهان هؤلاء الناس بالعلم والمعرفة ، وإلى التربية الإسلامية الصحيحة ، وجمع كلمتهم على عزة الإسلام ، والعمل على إعادة مجده .

ولا زلت أذكر مقابلة قابلت فيها الشيخ عبد الوهاب الدندراوي رحمه الله ،

فرايت شاباً في سنى تقريباً ، في العشرين أو الحادية والعشرين من عمره ، وفيه صلاح وخير ، جلست معه موقراً إياه كل التوقير ، حتى إذا انتهى المجلس العام طلبت أن أخلو به في حجرة خاصة ، ولما دخلنا خلعت طربوشى فوضعت على كرسى وخلعت عمامته ووضعتها إلى جوار الطربوش ، وهو يستغرب هذا العمل الذى لم يفاجأ به سن أحد من قبل ، وقلت له : « يا أخى لا تنتقدنى في هذا العمل فإنما فعلت ذلك لأقضى على الفارق الشكلى بينى وبينك ، ولأخاطب فيك الشاب المسلم عبد الوهاب الدندراوى . فقط ، أما الشيخ عبد الوهاب الدندراوى فقد تركناه في المجلس العام . . . إنك يا أخى في العشرين من عمرك ، وكلك والحمد لله شباباً وقوة وحماسة . . . ها أنت ذا ترى هذه الجموع التى جمعها الله عليك ، تقضى الليل فى ذكر ونشيد ، ثم لا شيء بعد ذلك ، والكثير منهم شأنه من شأن غيره من المسلمين : جهالة بالدين ، وبعد عن الشعور بعزة الإسلام وكرامته ؛ فهل ترضى هذا ؟ » فقال : « وماذا أصنع ؟ » قلت : « العلم والتنظيم والرقابة ، وتربيتهم على سيرة سلفنا الصالح ، وتاريخ أبطالنا المجاهدين . . . » وكان كلام طويل بيننا حول هذه المعانى ، تأثر به الشيخ تأثراً عميقاً ، وتعاهدنا معاً على العمل : أخوين لخدمة الإسلام العام ، وتركيز دعوته فى النفوس كلِّه فى ميدانه ومحيطه . وأشهد أنه ما جاء الإسماعيلية بعد ذلك إلا بدأ بزيارتى وتطمينى بأنه على العهد مقيم ، حتى توفى رحمه الله وجزاه عن الوفاء خيراً .

تلييه ورجاء

ينتمى بصدور هذا العدد اشتراك حضرات الفضلاء المشتركين لنصف عام ، ونرجو ممن يرغب من حضراتهم تجديد اشتراكه أن يبادر إلى ذلك مشكوراً ، وأن يرسل قيمة الاشتراك إلى الإدارة قبل صدور العدد السادس بوقت كاف حتى يعمل حسابه عند طبع العدد بإذن الله .

الإدارة

السيد جمال الدين الأفغانى

دعوته وعصره

للدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

[لأننا نكتب هذا المقال هدية وفاء للعالم الكبير بمناسبة حديثنا عنه فى الثورة المراتية فى العدد الثالث ، وبمناسبة الذكرى السادسة والخمسين لوفاته فى شهر مارس الحالى ، وكقطة من تاريخنا الحديث يجب أن نتذكرها دائماً « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »]

سواء أصح الحديث — أم لم يصح — الذى ورد فيه الإخبار بأن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها — فليس من شأننا أن نبحث هذا الموضوع ، ونحن نتركه لرجال الحديث — فإن من الثابت عندنا — أى من وجهة النظر التاريخية — وهى حقيقة قد أصبح التسليم بها عاماً أو شبه عام ، أنه فى السنوات التى أحاطت بملتقى المائتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من التاريخ الهجرى ، ظهرت فى أفق العالم الإسلامى شخصية فذة قديرة كان لها — بما بذلت من جهد ، وألقت من تعاليم ، وبثت من روح — مثل هذا الأثر : فى أنها جددت للأمة أمر دينها ، وأحييت ما خمد من عزائمها ، وأعادت إليها ثقها بنفسها . تلك هى شخصية السيد جمال الدين الأفغانى الحسينى ، العالم الفيلسوف الصوفى السياسى ، المجاهد ، المربى والزعيم .

لسنا نريد هنا أن نسرّد التفاصيل التى احتوتها حياته ، ولا أن نكتب تاريخاً جامعاً له فهذا — على الأقل — ما لا يتسع له المقام . ولكننا نريد فقط أن نشير إلى الحقائق البارزة فى حياته تلك ، ونعنى بصفة خاصة بأمرين : الطبيعة السياسية العامة للعصر الذى عاش فيه ، والمبادئ التى تكونت منها دعوته ؛ وفى ضوء هذا كله يتسنى لنا أن نحدد مكانته فى التاريخ الإسلامى الحديث .

ولد السيد جمال الدين — كما اتفقت على ذلك روايات من ترجموا له — فى عام

١٢٥٤ هـ (١٨٣٩ م) بقرية أسعد آباد ، على مقربة من « كابل » عاصمة أفغانستان ، من بيت علم وفضل ينتهى نسبه إلى الإمام الترمذى المحدث المشهور ، وى عشيرة قوية تعز بمكانتها وجاهاها ، ولذا كان الساسة والأمراء يخطبون ودها أو يضطهدونها . وعنى والده بربيته وتثقيفه ، فتلقى فى « كابل » بعد أن انتقلت إليها أسرته ، كل علوم الثقافة الإسلامية : من فقه ، وتصوف ، وحكمة ، وكلام ، وآداب ، ودرس اللغة العربية أيضاً ، ثم درس بالهند أيضاً الرياضيات وجانباً من العلوم الحديثة . ولم يكن المهم أنه درس تلك العلوم ، فكم من الناس درسوها غيره ؛ ولكن الله سبحانه وهبه مواهب خاصة فكان جمال الدين فى الحقيقة « عبقرية » من العبقریات النادرة التى لا تظهر إلا قليلاً فى التاريخ . ومن أهم ما ساعد على إنضاج هذه العبقرية ، وإبلاغها حد الإثمار بربيته الصوفية . وإلى هذه التربية يرجع كثير من الأسرار التى تميزت بها حياة جمال الدين ، وقوة تأثيره ونجاح مجهوداته ، وعظم نفع الأعمال التى قام بها . بل إن هذه الصوفية الصادقة المخلصة السامية هى المفتاح الأول لشخصيته — بالرغم من غلبة الناحية السياسية أو العلمية عليه — وقد غفل أكثر المؤرخين عن الاهتمام إلى هذا السراو التنويه به .

واشتغل جمال الدين بالسياسة منذ كان شاباً فى العقد الثالث من العمر ، واضطلع بمهام كبيرة فى الدولة . فبعد تقلده بعض الوظائف فى الحكومة اتصل بالأمير محمد أعظم بن أمير الأفغان الكبير « دوست محمد خان » وكانت سياسة الأفغان فى أواسط القرن الماضى سياسة نشيطة ، كثيرة التقلبات حافلة بالأحداث ، نتيجة نشاط السياسات الاستعمارية وما يصحبها من الدسائس ، التى كانت تدبرها الدولتان المتنافستان : إنجلترا التى كانت تملك امبراطورية الهند شرق أفغانستان ، وروسيا القيصرية التى كانت تواصل الزحف والاستيلاء على الأقطار الإسلامية فى أواسط آسيا . وقد نجحت الدسائس فى أن فرقت بين أولاد الأمير محمد خان ، فعقب وفاته انقسموا وانقسمت البلاد معهم شيعاً وأحزاباً ، ووقعت بينهم الحروب . ورأى جمال الدين أن يؤيد « محمد أعظم » ، ووثق هذا به فجعله وزيراً له أو وزيره الأول ، واعتمد على نصائحه واشتركا معاً فى تدبير الأمور . واكتسب بذلك جمال الدين — وهو لا يزال شاباً يافعاً — خبرة عملية ، وأتيحت له الفرصة ليطلع على حقيقة نوايا الاستعمار الأوروبى وخباياه ، وتأمره على إضعاف قوى البلاد الإسلامية تمهيداً لتدميرها ، مما كان له أبلغ الأثر فى تكوين آرائه وتحديد اتجاهاته ، وإثارة وجدانه . ثم انتهت الحوادث بأن تغلب أحد أبناء الأمير ، وهو « شير على » الذى كان مؤيداً من الإنجليز ومدداً بأموالهم ، على أخيه

الأمير « محمد أعظم » ، فزالت دولته ، وحينئذ اضطر جمال الدين إلى مغادرة بلاده — ربما على كره منه ، ولم يكن مقدراً له أن يعود إليها مرة أخرى — ولكن هذه الهجرة كانت خيراً وبركة على العالم الإسلامي كله ، كما سيأتي لنا بيانه .

كان هذا العصر الذي عاش فيه جمال الدين عصر ازدهار الاستعمار — أو دعنا نسماه كما سماه أحد علماء الإسلام المعاصرين : غارة أوروبا على العالم الإسلامي — وبلغه أوج قوته : فكانت إنجلترا قد آمنت استعمارها للهند ، وبعد الثورة الكبرى عام ١٨٥٨ أعلنت إنجلترا ضمها إلى أملاكها ، وأخذت تديرها إدارة مباشرة ؛ وبذلك أصبح تحت حكمها ولايات تسكنها أغلبية من المسلمين . وكانت الأفغان مسرحاً للدسائس التي ألحقتها إليها ، وكذلك إيران التي كانت روسيا وإنجلترا تتصارعان — طوال القرن الماضي — على التدخل في شئونها ووضع اليد على مواردها . وأما مصر فقد كان التنافس فيها قائماً بين إنجلترا وفرنسا ؛ وقد كان التغلب للأخيرة أولاً بما فازت به من الحصول على امتيازات فتح قناة السويس ؛ وتوجت مجهوداتها بالنجاح عند الاحتفال بافتتاح هذه القناة في عام ١٨٦٩ ، ثم بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في حرب السبعين خلا الجولانجلترا ، فأسرعت إلى شراء أسهم القناة ثم إلى التدخل تمهيداً لاحتلال البلاد . وكان والى مصر « إسماعيل » يسوق البلاد سوقاً إلى الحراب ، ويدفعها إلى الهاوية دفعاً ؛ فقد باع مواردها ثمناً للربا وأغرقها بالديون ، وأسلم رقبته إلى المراهين ليذبحوها ويسلخوها كما يشاءون . هذا بينما كانت الدولة العثمانية قد خضعت خضوعاً تاماً للدول المستعمرة . وبعد عقد معاهدة باريس ١٨٥٦ التي انتهت بها حرب القرم أصبحت كأنها تحت حماية إنجلترا ، وصار سفير إنجلترا في الأستانة كأنه الحاكم الفعلي للدولة العلية ، وما يتبعها من ولايات .

ولم تكن الكارثة الكبرى هي مجرد استغلال هذه الدول الأوروبية لموارد البلاد الإسلامية ، أو تمكنهم من بسط نفوذهم السياسي أو الثقافي ؛ بل كانت الكارثة العظمى هي أن روحاً من الإعجاب بهؤلاء المستعمرين قد أخذت تسرى بين الشعوب الإسلامية ، وأخذ جو من الشك يعم أنحاء الشرق ، وظهرت دعوة قوية إلى اتباع الغربيين وتقليدكم في أساليب حياتهم ، دون نظر إلى ما كان منها صالحاً أو فاسداً ، وكان هذا كله مؤدياً أو سيؤدى لا محالة إلى ضعف إيمان الشرق بنفسه ، أو زعزعة ثقته في مبادئه وثقافته . ولما كان الناس على دين ملوكهم ، فقد كان هناك عاهلان في الشرق على رأس هذه الدعوة ، بل كانا يبذلان كل جهد في سبيل إقناع الناس بها ، ويضحيان بالأموال ليروجا لها : وهما السلطان عبد العزيز خليفة آل عثمان في تركيا ،

والخديو إسماعيل حفيد محمد علي في مصر . فقد كان كل منهما مفتوناً بأوروبا مغرماً بما شاهده من المظاهر المادية ، مدفوعاً إلى تقليد الغربيين في فنون عبتهم ولهولهم ، حتى جهر الأخير — وهو يشعر بالزهو والافتخار — أن « مصر قطعة من أوروبا » ؛ وكان هذا هو البدأ الذي عمل له كما عمل شبيهه العثماني ، وإن كانت أوروبا لا ترضى إلا بأن يكون ذيلها — إن قبلت — لا قطعة منها .

في هذا الجو وفي هذا العصر نشأ جمال الدين ، وقد طوَّف بأرجاء البلاد في الشرق والغرب ، وشاهد ودرس ، واطلع بنفسه على حقائق الأمور ، وأحس بهذه الانجهاات وعرف هذه الدعوات ؛ وأدرك إذن مدى الخطر الذي كان يهدد العالم الإسلامي ، وسير عمق الهوة التي كان يدفعه إليها قادته المفتونون وزعماءه الجهلة ليردى فيها ، فتتخبط قواه المعنوية تحطياً لا يرجى لها إصلاح بعده . كان هذا هو مفترق الطرق في حياة العالم الإسلامي ، والأزمة الدقيقة الخطيرة الأثر في تاريخه . وقد شاءت العناية الإلهية أن يوجد جمال الدين في ذلك الوقت ليؤدى رسالة اختارها له القدر ، من أنبل الرسالات التي قام بها المصلحون وقادة الشعوب في المراحل الحرجة من تاريخ حياة أممهم ، عميقة المغزى خالدة النتائج ، وهذه الرسالة تتلخص في إيقاف الشعوب من الهوى التي يراد لها أن تتردى فيها ، ومقاومة التيارات والتأثيرات الضارة التي من شأنها أن تؤدى بها إلى التهلكة ، ورفع الغشاوة عن أبصارها وهدايتها إلى سُبُل الرشاد ، فهذا كله يؤدى إلى عرفانها نفسها ، ورد الثقة إليها في قدرتها وإمكاناتها ، وإحياء آمالها ، وتجديد إيمانها بمستقبلها ومثلها . وهذه هي الأهداف التي عمل لها جمال الدين ، ووقف عليها وقته وجهوده وضحي بكل شيء ، حتى حياته في سبيل تحقيقها .

نظر جمال الدين فوجد أن سبب البلاء وأصل العلة أمران : الاستعمار الأوروبي ، والاستبداد السياسى . وكان يرى أن وسائل انجلترا في محاربة الشعوب الإسلامية هي أخطر الوسائل ، ولذا عدها العدو الأول . ومن أكبر ما يمهّد للاستعمار ويزيد من قوته ، ويوجد عوامل بقاءه ، شعور الإعجاب به والوصول إلى الاعتقاد الخاطيء بأن تفوق أهله يرجع إلى مزية طبيعية فيهم ، مع اقتصار النظر على الحسن الظاهرة دون معرفة ما تنطوى عليه من مساوىء وشروء باطنة ، والغفلة في نفس الوقت عما كان عليه الحال في العصور السالفة . أما استبداد الملوك والولاة بشعوبهم فهو آفة الآفات التي نتج عنها الخطر الأول ؛ فلولا حرمان الشعوب من استعمال حقوقها وإبعادها عن الاشتراك في السياسة ، ولولا استمرار استغلالها وتسخيرها ، والرضا ببقائها

في الجهل ، وسوقها سوق العبيد ، وقسرها على أن تحيا حياة تفضى إلى سقم الجسم والروح . لولا ذلك كله — وهو نتيجة سياسة الحكام والأمراء المستأثرين بالسلطة وكل الحيرات — لما أمكن للشعوب في بلاد الإسلام أن تصبح فريسة للطامعين والمتدين من أهل أوروبا . وكان السيد ينظر إلى ما آل إليه حال العالم الإسلامي وما كان عليه حاله من قبل من عزة ومنعة ، وما ساهم به في بناء الحضارة وتقدم الإنسانية بمجهوداته في ميادين العلم والعمران ، فتثور نفسه وبهيج خاطره ، ويدعو العقول إلى أن تتيقظ والمشاعر أن تتحرك ، وبهيب بالأيدى أن تعمل ، والجماعات أن تتحرر .

وقد وجد جمال الدين أن طرق الإصلاح هي : رفع المستوى الفكري والروحي لهذه الشعوب ، بنشر الثقافة الإسلامية الأصيلة ، واغترافها من منابعها الأولى . فكان يدعو إلى إحياء العلوم الإسلامية والتجديد فيها ، وكان درسه بمصر وفي غيرها من البلاد نموذجاً عملياً لما يمكن أن يسار عليه في فهمها ، وعرضها في ثوب قشيب يتفق مع روح العصر . وقد حمل عنه هذه الطريقة الشيخ محمد عبده وغيره ، فكان لأعمالهم وتوجيهاتهم العلمية أنفع الأثر .

وكانت القاعدة التي تقوم عليها الطريقة الاجتهاد وتحكيم العقل لا التقليد . أما الطريق الآخر للإصلاح فهو تحرير الشعوب من الاستبداد . ورفع نير الظلم عنها ، إلى أن تصل إلى النفع بحقوقها السياسية وتصير لها الإدارة العليا في تصريف شئونها وتقرير مصائرهما . وفي سبيل ذلك كان يعمل السيد دائماً إلى إثارة الشعور وتنبيه الأقطام إلى حقوقهم ، بالأحاديث والخطب ، ونصح رجال الصحف بأن يكتبوا المقالات ويحاولوا الإجابة فيها على أحسن ما تقتضيه الأساليب والقواعد العربية ؛ فأدى هذا أيضاً إلى البدء في إيجاد نهضة لغوية . وكان السيد يدعو إلى جانب ذلك إلى اتحاد الشعوب الإسلامية ، وجاهد من أجل جامعة تلم شملها لكي تصبح جبهة قوية أمام أعدائها .

ولم يحتج جمال الدين في اهتدائه إلى طرق الإصلاح هذه — أي فيما يتعلق بالنواحي السياسية — إلى أن ينقلها عن زعماء أوروبا ولا عن رجال « الثورة الفرنسية » ولا غيرهم ؛ ولكنه اقتبسها من الإسلام نفسه ومن ثقافته وروحه ، فالإسلام يشتمل — فيما يشتمل — على أسس المبادئ التي تتكون منها الديمقراطية ، وضمن في شرائعه — فيما ضمن — الحقوق السياسية للإنسان . ودعا إلى الحياة الاجتماعية الرفيعة الفاضلة . وذلك كله قبل أن تصل أوروبا إلى معرفة هذه المبادئ

بعشرات القرون . ولم يكن مصدر إلهامه غير القرآن والسنة وأعمال السلف . ولكن جهل الأم الإسلامية بمبادئ دينها وحقائقه — أو على الأقل عجزها عن تنفيذ هذه المبادئ — هو الذي أدى بها إلى أن تصبح ذليلة ، وتترك مصالحها ومصائرها في أيدي حكام غشمة متجبرين لا ضمير لهم ، يعيشون بها كما تشاء أهواؤهم ويضيعونها .

لبث السيد جمال الدين يدعو طوال حياته إلى تلك المبادئ . وقد طوف بأقطار كثيرة في الشرق والغرب ؛ فصار شخصية عالمية . فكان قد ذهب إلى الحجاز في مطلع حياته لأداء فريضة الحج ، وحين غادر بلاده توجه أولا إلى الهند ، ثم إلى مصر فترة قصيرة ، ثم ذهب إلى الأستانة فأوقع به هناك الرجعيون . فعاد إلى مصر ولبث بها هذه المرة ثمانى سنوات (١٨٧١ - ٧٩) ؛ وبعد أن أخرج منها رجع إلى الهند ، ثم زار بعد ذلك أوروبا : فزار إنجلترا وفرنسا وروسيا . وفي أثناء ذلك توجه إلى فارس مرتين بدعوة من الشاه ناصر الدين . وأخيراً أغراه السلطان عبد الحميد بالذهاب إلى الأستانة فبقى بها شبه أسير حتى اختاره الله إلى جواره ، في ٩ مارس سنة ١٨٩٧ .

ولكن لعل أهم فترة في حياته كانت تلك التي قضاها في مصر ؛ فهناك وجد تربة خصبة ولقى نفوساً مهيأة لدعوته ؛ وكانت الأحوال السيئة والظروف البائسة التي أوجدها حكم « إسماعيل » ومن سبقه من أفراد أسرته ، قد كونت في نفوس أهالي البلاد عوامل ثورة ، ولكنها كانت في كمونها تحتاج إلى الموقظ والقائد والموجه ، فوجدت ذلك في شخص السيد جمال الدين حينما نزل بمصر ؛ وكفى أنه كان من بين تلاميذه الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم وسعد زغلول وعبد الكريم سلمان وغيرهم . ولذا فإنه كون مدرسة أو جيلاً كانوا هم الطليعة من بناء مصر الحديثة المجاهدة من أجل الحرية والنهضة على أسس إسلامية . وما زال أثرهم متصلاً إلى اليوم . كما أثمرت تعاليمه أيضاً في إيران ، فبث فيها من الروح مثل ما بث من قبل في مصر وكانت ثورته وحملته العنيفة على الشاه هي المقدمة التي مهدت إلى الثورة الدستورية التي قام بها أهل تلك البلاد في عام ١٩٠٦ ، ثم أدت فيما بعد إلى خلع أسرة « قاجار » ، التي كانت تحكم الفارسيين منذ أواخر القرن الثامن عشر .

وكانت قوة جمال الدين في شخصيته التي كانت أظهر الصفات التي تتميز بها : حدة الذكاء إلى مرتبة العبقرية ، وسعة الأفق ، ونقاء الوجدان ، وحساسية الشعور ؛ وفي طاقته الروحية الكبيرة المستمدة من صوفيته ، التي كانت سريعة التأثير في كل من يتصل به ، وتمكنه من التغلب على مخالطيه ، وتجذب إليه القلوب — وكان جمال الدين متأثراً بالإمام الغزالي يعتبر نفسه أحد تلاميذه في نزعة الصوفية العلمية — كما كانت قوته تصدر أيضاً

عن إيمانه بمبادئه ، وثقته بنفسه ، واعتداده بها إلى حد أنه كان يعتبر نفسه كفاء الشاه ناصر الدين أو السلطان عبد الحميد حينما يحدهما ، بل أكبر منهما أيضاً ، وأيد هذا كله جنان جرىء ، وفهم عميق للثقافة الإسلامية ، ويقين ثابت في مستقبل الإسلام .

ولا نرى في ختام هذا الحديث عنه أوفق من أن نقتبس بعض ما قال عنه بعض المؤرخين الغربيين الذين درسوه بروح خالية من التحيز ، وبعض الأقوال التي أثرت عنه والتي تعبر بلسانه عن بعض مبادئه : فقد قال الأستاذ « براون » : « إن جمال الدين كان فيلسوفا كاتباً خطيباً صحفياً ؛ وفوق ذلك كان سياسياً . . . وكان له أثر بالغ في النزعات الثورية التي حدثت في عشرات السنين الأخيرة في الحكومات الإسلامية ، وكان يرمى إلى تحرير الممالك الإسلامية من السيطرة الأوربية ، وإيقاظها من الاستغلال الأجنبي ، وإلى ترقية شئونها الداخلية بالإدارات الحرة المنظمة . كما كان يرمى إلى جامعة تنتظم الحكومات الإسلامية — ومنها إيران الشيعية — لتتمكن بهذا الاتحاد من منع التدخل الأوروبى بشأنها »

ويقول « لوثر ب ستودارد » ، وهو مؤرخ أمريكى : « إن خلاصة تعامل جمال الدين تنحصر في أن الغرب مناهض للشرق ، والروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور كما كانت في قلب « بطرس الناسك » ، ولم يزل التعصب كامناً في عناصرها ، وهي تحاول بكل الوسائل القضاء على كل حركة يحاولها المسلمون للإصلاح والنهضة . ومن أجل هذا يجب على العالم الإسلامى أن يتحد لدفع الهجوم عليه ؛ ليستطيع الدود عن كيانه » .

ومما قال السيد جمال الدين نفسه : « إذا لم يبنَ تقدمنا وتعدينا على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير فيه ؛ ولا يمكن أن نتخلص من ربة الانحطاط والتأخر » .

وقال أيضاً فيما روى عنه : « ما نراه الآن من حالتنا المستحسنة ظاهراً هو عين التقهقر لأننا في تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوربية . وبسبب ذلك يخشى علينا بعد زمن طويل أن نخضع للذل والسلطة الأجنبية ، أو تتبدل صبغة الدين الإسلامى الذى من شأنه رفع راية السلطة والتغلب ، إلى صبغة خمول وذل بعض الشعوب القديمة » . وعبر الشيخ محمد عبده عن مدى تأثيره الروحى فقال : « لقد أعطانى والذى حياة يشاركنى فيها على وعروس . أما السيد جمال الدين فقد أعطانى حياة أشارك بها محمداً وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم ، والأولياء والقديسين » .

وبعد فإن جمال الدين كان لا يرى أن الإسلام عبادة فقط ؛ ولكنه عبادة وقيادة ، وعلم وسياسة ، وعمل وإصلاح ، وقانون وأخلاق . ولا تزال لتعاليمه جدة ، ولا يزال كثير من نظراته صادقة . وما أخرجنا إلى اتباعه والاقتداء بتلك الروح .

سجّات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

على قدر القرب تحاسبونه

كلما صليت في المسجد الحرام فرأيت التفاف المصلين حول الكعبة ، تذكرت أن المصلي هناك عليه أن يتوجه إلى الكعبة لا يحيد عنها يمنة أو يسرة ، ولا يقبل منه إلا إصابة عينها ، لا يجزئه إصابة جهتها ، وأن المصلي في المواضع الأخرى يقبل منه أن يتوجه جهتها ، ولا يكلف أن يكون وجهه إلى بنائها ؛ بل يُسامح في الانحراف والارتفاع والانخفاض . فخال في نفسي هذا المعنى : أن الحساب على قدر القرب . فالإنسان يكلف بمحاجات الإنسان على قدر قربيه ؛ وكلما قربت القرابة زاد التكليف ، وعظمت الحرمات ، وكثرت التبعات . وكذلك الإنسان مع ربه كلما زاد قربيه إلى الله تعالى بإدراك عقله ما أحاط به من قوانين الله وآياته ، وبشعور وجدانه بالله واستنارته به ، كلما أدرك الإنسان صلات القرب هذه واخترق بعقله وقلبه الحجب ، كثرت عليه التكاليف ، وعظمت التبعات ، وطولب بما لم يطالب به الجاهل الغرّ والمفرط الغافل . وهكذا تعظم التبعات على قدر رقى الإنسان في درجات الكمال حتى يصدق ما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين . وهكذا تختلف الواجبات على اختلاف الدرجات ؛ فعلى العالم أمور لا تجب على الجاهل ، وعلى الحاكم تكاليف لا تجب على الرعية ، وعلى القادة تبعات ليست على التبع وهم جرا . فقياس كمال الإنسان ما يُأخذ به من أوامر ونواه استجابة لما يدرك عقله ويشعر به قلبه ؛ فليحاسب كل امرئ نفسه على قدر ما آتاه الله من قدرة في الجسم والعقل والعلم والإدراك والشعور :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير » .

على الله

كنت في فندق مصر الذي بمكة المكرمة في مجلس جمع بعض الإخوان فدخل رجل ووقف بعيدا منا ، وأشار إشارة عرفتنا أنه سائل . ودعا أحدا بنا أن أعطه

شيئا ، فأعطاه شيئا فرآه السائل قليلا فردده ، فمجبنا وضحكنا ، فأخذ الرجل ناحية وأعطاه ما أَرْضاه فأشار بإشارة التسليم وخرج .

قال أحد حاضري المجلس :

جلست على مقهى في أطراف مكة خارج باب جدة ، فجاءني سائل فقلت : على الله فانقل مسرعا لم ينطق بكلمة ولم يشر بإشارة . فمجبنت من أمره وأسفت أن لم أعطه ، فأرسلت خادمي بريال . فقال الرجل لا لا . قلت على الله فلا آخذ شيئا ، قال فرددت الخادم بريالين فلم يقبل . وقال قلت على الله فلن أقبل شيئا . قال ورددت الخادم المرة الثالثة فألح عليه ليأخذ فقال للخادم : والله لن أعطاني عمك (سيدك) ألف ريال وهذه السيارة التي معه لا أقبل شيئا . قال المحدث لقد تمنيت حينئذ أن يقبل مني ألفي ريال .

قلت : رجل سمع اسم الله فذكره فمز به فاستغنى فاستكبر وأبى أن يستعين بغيره . وحقر المال وأصحابه ، والغنى وطلابه ؛ بل رأى نفسه بالله أغنى من كل غنى وأكبر من كل كبير .

وقلت : سبحان الله لقد تحول الرجل في لحظة من ذل الاستجداء إلى عز الاستغناء : سأل فازدري وحرُم ، فغف واستغنى ، فلحقه المال يلح عليه فيرده ، ويتضرع إليه فلا يسمع له ، رفضه المال قبل لحات وهو الآن يرفضه ، وأذله منذ لحظات وهو الآن يذله . كان منذ لحظات سائلا يُنهر فصار مسثولا يُنهر ، كان ذليلا فعز ، وحقيرا فعظم ، كان طالبا فطلب ، وسائلا فسئل . ولقد اعتر بالله واستغنى به .

جاء في الأثر : استغن عن شئت تكن نظيره .

أكثر الناس شكية عامل إلى جعفر بن يحيى فوقع إليه في قصتهم .
« يا هذا ! قد كثر شاكوك ، وقل حامدوك ، فإما عدلت ، وإما اعتزلت ! ! »

يوم في أندونيسيا

أصبحت متعباً كأنى قضيت الليل كله أضرب بفأس ، ولعل سبب ذلك أنى صحت مرات على هدير المطر يخف حيناً ويشد أحياناً في صوت ذكرنى بنواعير حماة^(١) ، وقت أجمع الأشياء اللازمة لسفرتى اليوم إلى بوكيتنجى Bukittingi في جزيرة سومطرة الوسطى ، وجاء الرجل الفاضل السيد على سونكر صاحب الفندق الذى أنزل فيه ، والذى أصبح النزل الكريم لضيوف أندونيسيا من العرب والمسلمين .. جزاء الله كل خير وبارك هذه العاطفة فيه ؛ وجاء معه ابنه الطريف « مصطفى » وهو بدوره قطعة من أبيه ، وسمير مؤنس ومعاون وقت الحاجة بكل ما يستطيع ، وخرجنا إلى المطار مع إخوة آخرين عزاز... وطارت الطائرة إلى « بادانج » .. والمسافة كما قيل لنا ساعتان ونصف : أى أكثر من المسافة بين القاهرة ودمشق ، وتأملت الركاب فإذا هم مزيج من أجناس شتى ، بعضهم أندونيسيون وبعضهم أمريكيون وبعضهم صينيون : والصينيون هم يهود الشرق الأقصى في عالم المال ، ويوجد منهم في أندونيسيا مليونان مستحوذان على أكثر السوق ؛ وكان الجالس إلى جانبي أمريكياً فارغ القامة كثير الكلام والأميريكان في هذه البلاد يزداد عددهم كل يوم ؛ فلا تكاد تصل طائرة أو مركب إلى جاكرتا دون أن يكون بين ركابها أمريكي جديد ، أو عائد بعد « إجازة » من أمريكا إلى أندونيسيا الحصبة الحلوب ... وقد علمت من أمريكية ونحن في الطريق بين كراتشى وجاكرتا أن عدد العائلات الأمريكية في البلدة التى تقيم بها مع زوجها على بعد ثمانين كيلو مترا من جاكرتا أربعون عائلة ... وجمالتي رؤية هؤلاء أفسكر طويلاً في إهمال ساسه المسلمين ناحية العلاقات الاقتصادية بين أقطارهم ، وأجد في نفسى إعجاباً شديداً بإخلاص هؤلاء في عبادة دينهم وتحملهم في ذلك مشاق الغربة واختلاف البيئة والطقس ، وشعوراً عميقاً بالحسرة على الرخاوة التى أصابت المسلمين والبلادة التى جعلتهم مطية كل راكب ، وقد كان آباؤهم الأولون مغامرين يضربون في كل أرض ؛ وإنما دخل الإسلام أندونيسيا

(١) هى سوانى مستديرة ضخمة مقامة على نهر العاصى في مدينة حماة بسورية وإليها تشير تورية الشاعر الطيفة « وعلى العاصى تدور الدوائر » .

مع قوافل التجار العرب المخاطرين ... ولاأظن اكتشاف أمريكا إلا أنراً من آثار روح العلم والبطولة التي بعثها جامعات المسلمين في الأندلس حين كانت أوروبا تترجح تحت جهل مطبق وتسكن الأكوخ .. ألا ، ماأشد ماتعمل الأيام ... ويقتل المحول ١١ .. ولم يقطع على تفكيرى إلا الحركة العنيفة التي أصابت الطائرة فجأة فراح تترجح كالطائر المذبوح واشتد تأرجحها حتى اضطرب أكثر الركاب ، وكانت السماء مليئة بالسحب التي تزداد والطائرة تعلو وتنزل كأنها تريد أن تتفادى شيئاً ، وتميل يمنة ويسرة كأنها لا تستطيع التماسك أمام هجمات السحاب ، واختفى وجه الشمس من فوقنا وأديم الأرض من تحتنا ، واحتوانا السحاب في طياته على صورة قاسية توقظ النفس كلها على معنى قول الله : « وإذ مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » .

هذا في البحر ، فما بالك بضر الجو والعياذ بالله ... لقد كنت أنظر من نافذة الطائرة فأرى جناحها يعلو ويهبط وأرى كتلا من السحب تتبع بعضها بعضاً مع أن ارتفاع الطائرة كان فوق ١٦ ألف قدم : أى أكثر من خمسة كيلو مترات ، ثم أرقب ثغرة بين طبقات السحب لأرى من خلالها أين نحن ، وفوق أى جبل من جبال أندونيسيا ، وعلى أية غابة سنهوى إذا كان في مقدور الله أن تكون هذه هى الرحلة الأخيرة .. واستمر ذلك ساعة كاملة أو يزيد ... خرجنا بعدها إلى جو طلق فسيح وإلى سماء صافية زرقاء ... وكأن الطائرة ، تمشى فجأة على بساط ناعم ممدود ...

ونزلت الطائرة في مطار بادانج فوجدت في استقبالي ثلاثة من رجال حزب ماشومى : هم الأخ حسن ساروتى ، والأخ قاهر محي الدين ، والأخ رشيد ، وبدأنى الأخ حسن بالغريبة : « الأستاذ سعيد رمضان ؟ » .. قلت : نعم . قال : « لقد أ برق إلينا الأستاذ محمد ناصر بتشريفكم فأهلاً بكم وسهلاً » وقدم إلى زميليه ، فأناست في وجه قاهر عزما وبراءة نفس ، ثم مضينا إلى الفندق الكبير حيث تناولنا طعام الغداء ، وهو أندونيسى (قح) .. وأنا أحب الطعام الأندونيسى وأحب فيه (البسباس) الحار الذي يفتح الشهية بسحر ساحر ، وهو على تنوعه خفيف سهل الهضم ، وقد جربت الطعام المصرى عند صديق مصرى في جاكارتا فأتعبنى ، ففهمت من ذلك — وهذه يمكن أن تكون نصيحة لكثيرى الأسفار — أن من الخير دائماً التعود بالقدر الممكن المعقول على الغذاء السائد في كل إقليم لأنه أنسب للبيئة وثمرة تجارب أهله الطويلة ، ثم هو لون من الدراسة يكون فيك واقعية تجعلك أشد إحساساً بالإقليم الذى أنت فيه وأكثر تجاوباً مع أهله حين تجلس إليهم وتأكل مما يأكلون ... وقد يكلفك ذلك رهقاً أحياناً ..

...أذكر أنني أخطأت مرة فذكرت لصديق باكستاني سألني عن الألوان التي راقنتني من الأطعمة الباكستانية فعددت منها « النهارى » ، والنهارى طبخة حارة من مخ العظام مع توابل وأشياء لا أعرفها .. ففوجئت به صبيحة اليوم التالى بعد صلاة الفجر فى المسجد يدعوني لأفطر معه فى بيته ، ودعا إمام المسجد ومجموعة من المصلين الذين انعقدت يدي وبينهم بمرور الأيام صلة رتيبة .. وإذا بطعام الإفطار « نهارى » وأراد الرجل أن يضاعف فى إكرامى فملأنى وعاء خاصا وزاده من المواد اللطيفة ، فأخذت آكل وعيناي تدمعان ، وهو جالس أمامى يلح على ألا أبقى شيئا ... وأنا فى حرج بين ماقلته بالأمس من حبي للنهارى وبين ما أجده من لبيب ما حشده لى اليوم وظنه مبالغة فى الكرم !

ومضينا بعد الغداء بالسيارة إلى « بوكسجى » وهى على بعد ثمانين كيلومترا من بادانج ، وفاتنى أن أقول إننا مررنا قبل ذلك على منزل السيد أحمد رشيد منصور نائب رئيس الجماعة المحمدية وهو رجل عذب الروح كبير القلب استقبلنى بعاطفة أحسست بردها فى كل أوصالى ، وأقبل على أولاده الظرفاء فى أدب وحرارة ، فذكرت ولدى أيعن فى القاهرة ، وقال لى السيد أحمد : إننى أقرأ « المسلمون » كل شهر ، بارك الله فيها وفيك ، وأتابع نشاط الإخوان المسلمين أعز الله بهم الدين . وتحدثنا عن الأحوال فى مصر وأندونيسيا وودعته وبودى ألا أنزكه ، ثم مضت السيارة فى طريق جميل من الأشجار المتعاقبة ، وحينما نظرت يمنة أو يسرة ، إلى قريب أو إلى بعيد ، وجدت أرضا خضراء وجبالا ووديانا مكسوة بأثواب جميلة أخاذه من الأشجار والثمار ، وعن يمينك جبال عالية تكسوها سلسلة من الغابات التى يعيش فيها النمر والدب والغوريلا والغزال ... والأسد فى قليل منها .. ومن طريف ما رأيته عند بلدة « دوكو » بعض القردة فلما سألت عنها علمت أنها تعيش بين الناس كما تعيش القطط بيننا ، ويستخدمها الفلاحون فى جمع ثمار جوز الهند من أشجاره العالية .. ولما وصلنا إلى « باسار أوسنج » رأيت نصبا تذكاريا حدثونى أنه يمثل حادثة أليمة أثناء الكفاح الوطنى ضد الهولنديين ، إذ ألقى الهولنديون قنابل قتلت أكثر من ألف من المدنيين فى فبراير سنة ١٩٤٧ ، فأثار ذلك فى نفسى شجونا وألما ممضا ، وبدت البيوت المحرقة المهدمة وسط مظاهر الطبيعة الجميلة الفاتنة مثلا بيدنا لضراوة الإنسان وجحوده !

وتكررت هذه المناظر عند « لوبون ألون » وقرأت فيها بأعصابى صفحة من تاريخ آلام إخواننا المسلمين فى هذا الجزء العزيز من ديار الإسلام ، وسألت الله الرحمة للذين صرعتهم اليد الآثمة ، وتمام العزة والتحرر لكل المسلمين . ومرت السيارة

فوق قنطرة على نهر « كيانج بنج » فذكرني نهر بردى بدمشق ، ثم انحدرت إلى واد عريض عند « كابوتنام » فيه مدرسة للموسيقى والرسم أنشأها الأستاذ محمد الشافعى . . والحقيقة أن كل ماحولك في هذه الربوع بهمس في نفسك همساً رائعاً يقصر عن تصويره الرسم والموسيقى . ووصلنا إلى « آنى كلف » فكأننى في الطريق بين السلط وعمان وكأن الطريق اللتوى بين الجبال كاللعبان هو الطريق بين القدس ويافا . . آه وما تنغى آه ١٢ . إلا أن الجمال هنا أنضر وأروع ، وماء الشلالات يهدر كأنه يتكلم في النفس بلغة رهيبة قاسرة ، والسحاب يعانق رؤوس الأشجار في منظر بهيج حالم لا يكاد يكفى في تصويره تعبير الإنجليز عن المنظر الذى يشدهم بأنه « موسيقى متجمدة »

ودخلنا مدينة « بادانج بنجنج » وهى مدينة خفيفة الروح ذكرت حين رأيتهما مدينة « كاكول » مقر الكلية العسكرية بالباليكستان ، اشتهرت في أندونيسيا بكلية المعلمات الإسلامية التى أنشأتها السيدة الفاضلة الأستاذة رحمة اليونسية ، واقترح رفاقي أن نخرج عليها لزيارتها ففعلنا ، وفوجئنا فيها بمؤتمر نسائي يضم سيدات مندوبات عن نواحي سومطرة الوسطى ، وكلهن متخرجات في الكلية وأصبحن الآن أمهات ، وقد اجتمعن للنظر في قانون الزواج ووجوب مراعاة أحكام الإسلام فيه ، فسألتهن عما يعترضن عليه فقالت إحداهن على سبيل المثال : إن القانون يفرض على الزوج إذا طلق زوجته أن يدفع ألف روبية أندونيسية للزوجة . . . وهذا شيء لم يطالبه الإسلام به فكيف يفرض عليه ؟ فأدهشتنى هذه الروح العالية التى جعلتهن يجتمعن على حكم الإسلام في ذاته غير متأثرات بأى اعتبار آخر — كما أعجبني لباسهن الجميل الذى لا تبدو منه إلا وجوههن في جو ملائكى محبب — ودعت السيدة رحمة مدرسات الكلية وطالباتها إلى اجتماع سريع ، وفي الكلية ستمائة طالبة من أنحاء أندونيسيا يقضين أكثر السنة داخل الكلية في برنامج تربوى منظم نهارهن وليالهن . وطلبت منى السيدة رحمة أن أحاضرهن عن الإسلام وأن أشرح لهن شيئاً عن حركة الإخوان وعن الوضع في مصر ، ففعلت ، وكان السيد حسن يترجم كلامى جملة جملة ، وهن يصغين اصغاء تاماً ، وأدهشتنى أن قامت بعد ذلك فتاة من بينهن ترحب بى بالعربية وتسألنى عن سبب حل الأحزاب المصرية ، وعن علاقة حركة الجيش المصرى بحركة الإخوان المسلمين ومدى أثرها في الدستور المصرى الجديد وعن الحركة النسائية في مصر وهل استطاع الأخوات المسلمات أن يقاومن شطط الحركة النسائية ؟ وهل آن للحكومة المصرية أن تمنع عن أندونيسيا الأفلام الفاجرة التى تؤذى أخلاقنا وتسئ إلى سمعة مصر ؟ ؟ ؟ ..

أدهشني هذا الوعي ، وودعتن بعد ساعتين مثلج الصدر معجباً بنشاطهن وأهديتهن صورة زوجتي فأطربتهن وحدة الزى وحملتنني تحياتهن إلى الأخوات المسلمات وتحية خاصة إليها : أرجو أن يسمح بها الأخوات !

وواصلنا الرحلة إلى « بوكتنجي » فوصلناها في المساء ، وزرنا رئيس حزب ماشوي في داره فوجدناه مريضاً - شفاه الله - وذهبنا إلى فندق « جراند » حيث استرحنا قليلاً ثم خرجنا لتناول طعام العشاء في مطعم (سلامة) وهي كلمة عربية كما ترى ... وأثر في نفسي بشاشة عمال المطعم وحسن استقبالهم . . . كما هزتني كلمة في أغنية من المذيع هي « يا إلهي » لقد تجمعت في هذه الكلمة في نفسي معان كثيرة . . دخول العرب بالإسلام في هذه الديار أول مرة . . . وصلة الدين العميقة التي تربطني بأبناء هذه البلاد . . . والأثر البعيد الذي تحدثه وحدة اللغة إذا انتشرت العربية في أقطار الإسلام . . . و . . . وذهبت بهذه الحواطر كلها مليء القلب والرأس لأنام !!



بسم الله الرحمن الرحيم

باب جديد

يسرنا أن نفتتح من العدد القادم بمشيئة الله باباً جديداً تحت عنوان :
« إن لبدنك عليك حقاً » يشترك فيه عدد كبير من كبار الأطباء المتخصصين
في شتى فروع الطب ، ويشرف عليه حضرة الأميرالاي الدكتور أحمد الناقة .
والتحرير يرحب بكل استشارة طبية من الإخوة القراء . .

الطَّبُّ عِنْدَ الْمُجْدِثِينَ

للأميرالاي الدكتور أحمد الناقة

المسلمون الذين يبلغ عددهم خمس سكان العالم والدين يدعوم دينهم إلى القوة ويريد الله أن يبعثهم من مرقدكم كرة أخرى جدير بهم أن يتدبروا أمر محنتهم حتى يصيروا أمة حية قوية بصحة أجسادها وصحة عقولها وسلامة جماعاتها .

وقد تطور الاهتمام من صحة الجسم إلى صحة العقل ثم إلى صحة المجتمع فأصبحنا نعلم أن الجسم السليم والعقل السليم والمجتمع السليم جميعها لازم لاستقرار السلم والأمن والخير العميم .

والسرعة طابع هذا العصر فقد بلغ العلم والمعرفة والتطبيق في مدى المائة عام الأخيرة شأواً فاق كل ماسبقه في عصور التاريخ ، وأحدث انقلاباً في حياة البشر لا يعلم مداه إلا الله .

فالمواصلات تطورت من الدراجة إلى آلة الاحتراق الداخلي في السيارة والباخرة والطائرة ، فزالت الحواجز وقربت المسافات وصغر العالم !

والأنباء تطبق الدنيا فور ظهورها . وقد ضعفت روابط الأسرة وانحلت قيود الجماعات الصغيرة فاندجحت في جماعات كبرى تتعاون في السراء والضراء وحين البأس وقد أحدث البحث العلمي في الطب فروعاً كثيرة : فقد أدى المجهز «الليكرسكوب» إلى مشاهدة الخلايا الحية في حالتها الصحية والمرضى فكان علم الأمراض «باتولوجي» سنة ١٨٥٨ وعلم الجراثيم سنة ١٨٨٠ . ومكن البنج سنة ١٨٥٠ من الجراحات الكبرى وظهرت الأشعة والراديو في أواخر القرن التاسع عشر فأعانت على الفحص والتشخيص والعلاج . وكذلك عرفت أمراض الصناعة وفساد البيئة وأمراض الحساسية والغدد الصماء وأمراض النفس . وفي العشر سنوات الأخيرة ظهر طب الجماعة واكتشفت بعض العقاقير العجيبة الحاسمة في شفاء أمراض شتى « سلفا . بنسلين ونحوه » .

وتقدم رجال المال والأعمال فطبقوا نتائج الأبحاث في صناعات الطب والصيدة فشجعوا البحوث وأجزلوا العطاء للعلماء فكان سيل من العقاقير الجديدة قد يكون بعضها كبير النفع . ولولا أن اهتمت صناعة الكيمياء إلى عقار « الاتبرين » الذي

يشفى من مرض الملاريا لانهزمت جيوش الحلفاء فى أقصى الشرق حين وقعت مناطق زراعة الكينا فى أيدي اليابان . ولولا قوة الصناعة الكبرى لما استطاع المرضى أن يجدوا حاجتهم من أحدث العقاقير .

والجامعات ومعاهد الأبحاث تشهر بمنافسة ثقيلة من رجال الصناعة ، ولا بد أن تتكفل الدولة بتمويل أبحاثها حتى لا تخضع لإغراء الصناعة التى تريد أن تجعل نتائج الأبحاث سرّاً تجارياً فتعطل التقدم العلمى .

والعالم الحائر التأثر المتناحر قد يرى السرية فى بعض أبحاث الذرة والكيمياء والجراثيم وأشعة الكون ونحوها بحجة صيانة الأمن والسلام . وهى حجة واهية فقد ثبت أن الغازات السامة والجراثيم لم تستخدم فى الحروب حين عرفها المتحاربون ، وأن الذرة استعملت حين عرفها فريق واحد . وإذن فيجب أن يقر فى الأذهان أن السرية فى البحث العلمى تضر بالعلم والسلام على السواء .

وتقدم رجال المال فى ميدان آخر هو التأمين على الصحة وعلى الحياة فأمنوا المرء من المرض وأمنوا أهله من العوز وأعانوا البعثة فى الجامعات والجماعات على الباحث والإحصاء الطبى لحد المرض ومد الحياة .

ووظيفة الطب فى المجتمع حفظ الحياة ودعم الصحة بالقدر الذى يرضى الإنسان ويجعله عاملاً منتجاً فى مجتمعه . ويقوم الطب العسكرى بوظيفته على أحسن وجه .

ولا تزيد الجيوش فى أكثر الأمم على عشر السكان ويتولاها الطب العسكرى بالوقاية والإرشاد الصحى والغذاء الكافى والتدريب الوافى حتى تبلغ أسمى مراتب الصحة والكفاءة . والتاريخ الحربى حافل بالأمثلة المدالة على أن الجيوش يجب أن تنتصر على الأمراض قبل أن تنتصر على الأعداء .

والطب العسكرى يعيد إلى الميدان مرضى الجند وجرحاهم وقد شفوا والعجزة وقد صاروا قادرين على الحرب ، فيرفع بذلك روح الجند ويزيدهم شعوراً بالأمن وحماية فى قتال العدو . وكثيراً ما انتهى له فرص البحث والدراسة لأمراض الحروب وجراحاتها ووسائل نقل الجرحى والوقاية والتغذية والأدوية والأغطية والشئون الصحية بين المهاجرين والأسرى .

ولما عاد الجند من الحرب فأصبحوا مدنيين شعروا بالفرق الشاسع بين الرعاية الطبية التامة فى الجيش وخارجه . ومن هنا زاد الوعي الذى اتخذ صوراً شتى فى أرقى الأمم : تأمين طبي شامل ، أو تأمين صحى تقوم به الحكومات والشركات ، أو تعاون صحى اختيارى تقوم به الجماعات والأفراد .

طب الجماعة : وقد ظهرت فلسفة جديدة تستهدف صحة الناس كافة وتستعين بمباحث الطب والإحصاء والاجتماع على تشخيص أمراض المجتمع وعلاجها .
ويبدو أن العالم سائر نحو الإنسانية الجماعية بعد أن ضاق بالمادية الفردية وكفر بالتخصص المحدود الذى طغى على الاعتبارات الروحية والإنسانية . ففي أسباب المرض انصرف الاهتمام إلى الجراثيم وقلة الغذاء وأهملت العوامل الاجتماعية التى لولاها ما نمت الجراثيم ولا قل الغذاء .

ولسلك مرض قصته الاجتماعية التى تؤثر في ظهوره وسيرته وعلاجه : السل . الروماتزم . أمراض القلب . الأمراض المتوطنة وغيرها .

وقد كان رجل الصحة العامة يهتم بالوسط والمحيط ويعتبر فساد أصل المرض . أما طب الجماعة فيهتم بالإنسان نفسه في هذا الوسط الذى يتسع فيشمل الأجر والغذاء والسكن والمهنة والتعليم والهموم ، وكلها ذات أثر بالغ على الصحة .

وكانت الصحة العامة تهتم بالأمراض المعدية فحسب ، أما طب الجماعة فيهتم بكل الأمراض الفاشية في المجتمع معدية وغير معدية : روماتزم . سرطان . أمراض القلب . التصلب وضغط الدم . الزائدة الدودية . قرحة المعدة . الحوادث وغيرها . وجميعها يمكن اتقاؤها وتخفيف شرها .

وطب الجماعة يكفل لمرضى المستشفيات التشخيص والعلاج الاجتماعى . وإذن فقد انتقل مركز الأهمية من المحيط الميت الجامد الذى تعيش فيه الجماعة إلى المحيط الحى وإلى الجماعة نفسها في هذا المحيط .

والرأى أن تحسين السكن والمأكل والشرب والمدرسة والمصنع والتشريع الصحى أجدى على الشعب من كل المستشفيات ومستحدثات الطب . ومن الخير إصلاح برامج التعليم والإرشاد الصحى وتدعيم الأبحاث حتى يبرز التشخيص الاجتماعى بجانب التشخيص الفردى ونسبة إصابة المجتمع بجانب نسبة الوفاة .

وقد شاخت أمم كثيرة في الغرب : قل نسلها وزاد عمرها على الستين فزادت تبعاً لذلك أمراض الشيخوخة وتبعاتها من تدبير العمل الخفيف للقادرين ، وكفالة الرزق للعاجزين . وكذلك زادت أمراض الشباب من أثر ضغط الحياة وعجلتها وكفاحها .

وأكثر أمم الشرق تشكو كثرة النسل وقلة العمر عن ثلاثين عاماً . وهى أمم أخذت في التعليم والتصنيع يجب ألا تغفل عن آثار التغيير الاجتماعى المتوقع نتيجة لذلك ، كما يجب ألا تغفل عن أخطار الحرب والذرة .

ونمو السكان خطر على الأمة إذا لم يصحبه أو يسبقه نمو الثروة لأنه يهبط بمستوى العيش ويضعف الصحة ويعرض للمرض . ولعل المجاعات والأمراض هي العامل للسيطر على عدد السكان في بلاد كثيرة كالهند وغيرها .

ومنظمة الصحة العالمية تتولى باسم هيئة الأمم المتحدة معونة بعض الأمم المتخلفة وإرشادها إلى سبيل الصحة حتى لا تستمر على كثرة النسل وكثرة الوفيات وهو جهد ضائع ، بل تستعيق منه بقلة النسل وقلة الوفيات . فتجد الأمم معادتها في الأسرة الصغيرة القوية .

وعلى المهنة الطبية التي تحمي الحياة والصحة أن تنبه العالم إلى مصيره للظلم إذا هو لم يبادر إلى حسن توزيع خيرات وخدماته حتى لا يبقى على الأرض سادة وعبيد للفقر والجهل والمرض .

والأمل معقود على أن ينشأ الجيل الجديد من الأطباء بصيراً بالمريض في بيئته بصيراً بالمرض في جسمه ، ويجب ألا يقتصر تعليمه على قاعات الدرس وأسرة المرضى ، بل يجب أن يشمل كذلك أقصى القرى وأقفر الأحياء حتى يكون خبيراً بمجاعات المجتمع عارفاً بآلامه وآماله .

ولا بد أن تمحى مسائل الصحة والمرض بوسائل إنسانية أخرى غير المجهز وفي غير المعمل . فصحة الناس — وهي أكبر نعم الله — حرية بأن تدرس دراسة علمية واضحة محددة . والطب أقدم العلوم العملية الاجتماعية يزدهر برعاية الناس في محيطهم حيث يعيشون ويتعلمون ويعملون ويتعاملون . وحملات طب الجماعة وإحصائياته تنشط التعليم وتدفع إلى العمل حين تعرف نتائجها في خفض الوفيات وتحسين نمو الأطفال وصحتهم ورفع مستوى كفاءة العمال وزيادة الطول والوزن والقوة للمجندين . ويجب أن نجعل لهذه النتائج من الأهمية وحسن التقدير مثل ما تحظى به مستحدثات الطب في الفحص والتشخيص والعلاج .

وقد لا يمضى وقت طويل إلا وقد نضج طب الجماعة واتضحت معالمه فأصبح علماً إنسانياً رفيعاً قوى الأركان جدير باحترام العلماء كفيلاً بشفاء ما في المجتمع من علل وأدواء . ومن اليسير الهين أن تأخذ أم الإسلام من هذا الطب الحديث ما يناسبها لأنه في جملته يتفق وروح الإسلام وتعاليمه التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتمجد الصحة والقوة حيث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ويقول الله تعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

باب الكذب : نقد وتعريف

« تذكرة الدعاة »

للاستاذ البهي الحولي نشر دار الكتاب العربي سنة ١٩٥٢ ٢٧٢ ص ك

هذه مجموعة من الأحاديث ألفها صاحبها الفاضل طي « كتيبة الدعاة » من الإخوان المسلمين ، وموضوعها الوسائل التي تبلغ بهم أن يكونوا دعاة إلى الله وخاتمة رسالاته . والكاتب من الإخوان المجاهدين في هذا السيل ، وقد أنعم الله عليه بما يجعله أهلاً للدعوة إليه — فهو كما يقول المغفور له الأستاذ حسن البنا في مقدمة الطبعة الأولى — : « صافي الذهن ، دقيق الفهم ، مشرق النفس ، قوى الإيمان ، عميق اليقين » . ولنا أن نضيف إلى هذا ، أن هذا الكتاب يظهر للقارىء طي أن الكاتب متمكن من مادته ، قوى في أسلوبه ، وقد أفاد كثيراً من علوم النفس والاجتماع والتصوف . وإذا كانت الدعوة لرسالة أو فكرة تتطلب من الداعية فهما عميقاً لها ، وإيماناً تاماً بها ، ومزاجاً يؤهله للدعوة لها ، وبصراً بعلاج أمراض المجتمع ، وقدرة على توجيه المريدين ، ومصادر يستمد منها ويستلهمها ، ومحاضرات ودروساً ومقالات وأحاديث يعلن بها دعوته ويمكن لها في النفوس — نقول إذا كان الأمر كذلك ، فقد كان المؤلف موفقاً في إدارة كتابه على أبواب وفصول تحقق هذا كله وما إليه بسبيل . وبذلك يخرج القارىء للكتاب بثروة كبرى يفيد منها أجل الفوائد ، سواء أكان داعية أم غير داعية ، وإن كان المؤلف قد توجه به لدعاة الإخوان المسلمين وخطبائهم وخدمهم ، وذلك للسبب الذي ذكره بمقدمته .

فهو يتحدث في الباب الأول (ص ١٣ وما بعدها) عن فقه الدعوة والداعية ، وفيه يُجسَّلى أن الإسلام هو الدعوة العالمية الكبرى . « لتكون نظام الإنسانية الكامل في حياتها الروحية والمادية » . ثم ينتهي بتقرير أن الداعية يجب أن يشعر بأن دعوته حية في أعصابه ، متوهجة في ضميره : فتدفعه إلى الحركة والعمل ، وتشغله بها عن نفسه وماله وولده . وتقرير أن الدعوة هي نقل أمة من محيط آمن خائق إلى المحيط المذبذبة الفسيح الهنء : من محيط المادية إلى محيط الربانية (ص ٢٦ ، ٢٨)

وفي الباب الثاني (ص ٣١ وما بعدها) ، يتحدث عن منهاج الداعية وما يجب أن يكون عليه ؛ من عقلية واقعية لانظرية ، وحياة روحانية اجتماعية فلا تعتزل الناس ،

وطبيعة إيجابية تنفيذية لا سلبية . ويعقد لكل من هذه الأسس فصلاً خاصاً ، وبين وسائل كسبها إن لم تكن فطرية فيه ، والأساليب التي تدخل بها الدعوة إلى القلوب ، وهذه الوسائل والأساليب يستمدّها الكاتب من القرآن والحديث والقصص ونحو ذلك كله . وفي مطاوى البحث في هذا الباب ، نظفر بنظرات صادقة للزهد ، وأنه ليس الكف عن السعى والعزلة ؛ وبمعرفة عميقة لوسائل تحرير القلب من الأهواء الباطلة والشهوات الفارغة (ص ١٢٩ وما بعدها ، ١٣٧ وما بعدها) .

وفي الباب الثالث (ص ٢١٨ وما بعدها) ، يتحدث الكاتب عن مصادر الدعوة ومواردها ؛ من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وتاريخ الأمم وسير الأبطال ، وواقع الحياة الجارية . وكل هذا معين لا ينضب بمد الداعية بكل ما يعينه على تحقيق دعوته والوصول بها إلى القلوب . وفي حديثه عن القرآن ، يبين كيف ينبغي أن يقرأ « على أنه روح وللروح آثارها ، ومن آثارها الحياة والنمو والقوة ... فعلى القارئ أن يزيل الفوارق والحجب التي تفصل بين قلبه وبين القرآن ، فإذا زالت ... أحس بالحياة والقوة والنور والحشية والحنان تملأ وجوده ، وآية واحدة من كتاب الله كفيّة بهذا لو أحسننا الاتصال بها » (ص ٢٢٠) . فإذا ما انتهى الكاتب من حديثه عن القرآن ، أخذ في الحديث عما يفيد الداعية من سنة الرسول التي هي المرجع الثاني لعلوم الدنيا والدين ، ومن التاريخ وسير الرجال ، ثم من الحياة العملية (ص ٢٥٣ وما بعدها) .

وهنا ، تصل إلى الباب الرابع والأخير من الكتاب (ص ٢٥٩) ، وفيه يتكلم عن كيفية إعداد الداعية ما يتوجه به إلى الناس ؛ من محاضرات ، ودروس ، وخطب ، ومقالات ، وأحاديث عادية . فنحن إذن في هذا الباب أمام دروس عملية يفيد منها الداعية أيما فائدة حين يتصل بمريديه والناس جميعاً .

هذا ومن حق هذا الكتاب علينا ، وهو كتاب له خطره وجلالته ، ألا نطوى عن القراء بعض ما نراه فيه مما لا يغض بحال من قيمته ، وهذا ما نوجزه في هذه الكلمات :
١ - نحن ممن يؤمن بإفلاس الحضارة الغربية في مجموعها لقيامها على المادة في جانب كبير منها ، ولكن ليس من الحق أن كل ما لهم من فضائل هي « فضائل مزعومة » ، كما يقول الأستاذ (ص ٢٠ - ٢٣) ، ولا أن هذه البلاد الطاغية الكافرة ليس فيها في الحقيقة أناس ، إنما فيها مردة من الشياطين (ص ٥٨) ؛ ولا أن حضارة الغرب قد خلت عملياً من كل منهاج ووسيلة لإيقاظ الضمائر وتنمية الحواس الباطنة (ص ١١١) إن علينا أن نكفر بالغرب وما قام من حضارته على المسادة ، وأن نعتبر الغرب

المستعمر عدواً لنا ؛ وإن كان استعماره يرجع أيضاً إلى ما ابتلى به العالم الإسلامى من ملوك وزعماء آثروا العاجلة على الآجلة ، وباعوا أوطانهم فى سبيل منافعهم الخاصة ، وبذلك مهدوا للاستعمار والمستعمرين . وإن لدى الغرب من الأخلاق فى للعاملات الاجتماعية وغيرها ، ما كنا نحن المسلمين أولى به وما نود أن نصل إليه بعد جيل أو جيلين من هذه الحياة التى نجياها ١ .

٢ — وإن للغزالي أثره الكبير فى إيقاظ الروح والقلب ، وفى الدعوة إلى تصفية النفوس حتى تكون أهلاً لفيض الله عليها ، وفى غير هذا وذاك من العلوم والدراسات التى صار بها بحق حجة الاسلام . ولكن الإشادة بفضل الغزالي وأمثاله من رجالات الإسلام ، لا تتطلب منا أن نغمط أقدار سواهم حتى ولو كانوا من بناء الحياة أو الحضارة المادية . وإذن فليس من الحق فى رأينا أن صفحة واحدة من كتاب « إحياء علوم الدين » للغزالي أرجح فى الميزان من كل ما اخترع « ماركونى » ^(١) (ص ١٦١) وبخاصة ، والإمام الغزالي تنضح كثير من كتاباته بالدعوة إلى الزهد البالغ والانتقطاع عن الحياة العملية ، وقد جنح فعلاً إلى هذه النزعة فى حياته كما هو معروف ، وذلك ما لم يرضه المؤلف بحق للداعية إلى الله على ما أشرنا آنفاً .

(١) اختلفت زاويتا النظر إلى الميزان فيما يبدو ، فإنه إذا كان المقصود بالميزان ، ميزان ما ينفع الناس فى دنياهم فإن لاختراع ماركونى وزنه ولاشك — إذا استعمل فيما يبسر للناس أسباب الخير وحق الإقبال على الله — أما إذا كان المقصود بالميزان ميزان رضا الله عز وجل وحسابه للناس يوم القيامة ، فإننا لانشك فى أن الأستاذ الفاضل الدكتور محمد يوسف موسى يخفى معنا على « ماركونى » من مثل قول الله سبحانه وتعالى « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً » ولعل ذلك يتضح من مثل كلمات الأستاذ البهى فى باب « النظر فى آيات الله فى الآفاق » :

[وعلم الله ما نبخس هذا العلم قدره ، فإنه ضرورى لأداء رسالة معينة ، رسالة يخدم بها الإنسان فى ناحيته المادية والحيوانية ، وهى ناحية قدسها الدين الحنيف إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لبدنك عليك حقاً ، وإن لربك عليك حقاً » .

ولا اعتراض لنا على شيء من هذا ، فهو من أسرار الله سبحانه وتعالى . . . ولما الاعتراض أن تزعم لهذا العلم المحصور فى هذه الحدود ، أنه مصدر الحياة والنور لمعانى الإنسان العليا ؛ فهو زعم خاطئ يقع فيه أكثر الناس ، فإنا كان لعلم مسخر لدواب البدن العمياء ، أن يقوم بما ليس من وظيفته ، ويمنح ما ليس فى طبيعته . . . فمن أين النور لعلم إذا نظر لشيء لا ينظر إلا إلى ناحيته المادية ، يقيسها ويزنها ويستكشف خفايا ذراتها ، ليصل من ذلك فى النهاية إلى نتيجة يذهب نفعا إلى السكيان الحيوانى ، ولا يصل منها أثر يذكر إلى السكيان المعنوى ؟ . فإذا ترقى الإنسانية بهذا العلم ، فإن ترقىها مشهود به فى قشرتها الأرضية ، وناحيته المادية فقط ، وهى الناحية ، الصماء التى لا توحى بماطفة نبيلة ولا شعور كريم] .

٣ — وبعد هذا وذاك ، كنا نود أن يقول : « الأناثية الجماعية » بدل « الجمعية » (ص ٢٢ — ٢٤) ، لأنها نسبة إلى الجماعة ، كما يقال نزعة جماعية مثلاً .

وبعد افهذا كتاب كتبه صاحبه وهو يؤمن بكل ما يقول ، وهو ثمرة موهبة ربانية واستعداد قوى أصيل ، وتجارب طويلة عميقة ، وقد سلك فيه بالدعاة الطرق التي تجعلهم يحق دعاء الله وسبيله ودينه الذي ارتضاه لنا . وفيه مع ذلك كله من الإحاطة والعلم والعمق وقوة الروح ما يجعله حرياً بأن يفيد كل قارىء ، وما يجعل قراءته واستيعابه واجباً على كل من ينصب نفسه للدعوة الحققة لله والإسلام بأوسع ما يحتمل « الإسلام » من معان دينية واجتماعية وسياسية .

دكتور محمد يوسف موسى



في جوار إقبال شاعر الإسلام تحقيقاً كافيّاً لعلوم إسلامه

أبن المسلم الحق ؟

للأستاذ محمد محمود الزبيرى

ليس في عِرْقِ مسلم من دَمٍ باقٍ ولا في غَرامِهِ من جُنُونٍ
ما دهمى المسلمين أيُّ عدوٍّ نال منهم وأي حَرْبٍ طَحُونٍ ؟
أيُّ جَيْشٍ إلى المشاعر والأعماق وافى وأي غَزْوٍ لعينٍ ؟
فصفوفٌ معوجَّةٌ وقلوبٌ ذاهلاتٌ من رِيبَةٍ وظُنُونٍ
وسجودٌ بلا شعورٍ وتكبيرٌ بلا عزةٍ ولا تمكينٍ
أفلسُوا مِن قوَى لهم عاشت الدنيا بها في حَرارةٍ وَيَقِينٍ

الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد

كان هذا العنوان أمنية فأصبح حقيقة ، كان أمنية تهوى إليها النفوس وتهفو إليها القلوب ، فأصبح حقيقة ماثلة بين دفتي كتاب يستطيع كل قارئ أن ينالها وأن يستمتع بجمالها .

وقبل هذا الكتاب كان عشاق الفقه الإسلامي يحاولون أن ينالوه فلا يستطيع أن يناله منهم إلا البعض وقليل ما هم ، لأن الفقه اعتصم من طائفيه في التلون وتحصن في الشروح واستعصى على طلابه في اللغة المتعلقة والأسلوب العقيم .

وكان كل من له إلمام بالفقه الإسلامي وكل من عانى من قراءة كتب الفقه الإسلامي يود أن توطأ للناس كتب الفقه حتى يتيسر لهم قراءتها وتسهل عليهم دراستها وحق يستطيعوا أن يوازنوا بين الفقه الحديث وبين الفقه الإسلامي العتيق ، ذلك الفقه الغني بموضوعاته ونظرياته واصطلاحاته المتميز بدقته وقوته ، ليكون لهم من هذه الموازنة ما يزيد ثقتهم ويوسع آفاقهم ويفتح أعينهم ويوجههم إلى الطريق المستقيم .

هذه المشاكل التي كانت تواجه عشاق الفقه الإسلامي والدعاة إليه قد حلها كتاب وتلك الأمانى التي كانت تحيى بها صدورهم قد حققها كتاب ؛ والكتاب الذي حل المشاكل فأحسن حلها وحقق الأمانى فأحسن تحقيقها هو كتاب الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد ، الذي اتخذنا اسمه عنواناً لهذا المقال .

وإذا صح أن الكتاب يقرأ من عنوانه فهذا الكتاب في نظري أول كتاب يدل عليه عنوانه حق الدلالة ويعبر عنه كل التعبير . إن عنوانه هو الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد ، وكل عبارة من عباراته وكل فقرة من فقراته وكل صفحة من صفحاته هي الفقه الإسلامي في أسلوب جديد وعرض جديد وتنظيم جديد وتوجيه جديد أو هي الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد كما شاءت الدقة والإحاطة لمؤلفه أن يسميه . والكتاب سلسلة كتب ظهر منها حتى الآن المدخل الفقهي العام وكتاب الحق والالتزام والأموال والأشخاص ، وكتاب عقد البيع ، ولا يزال المؤلف يعد كتاب نظرية الالتزام في الفقه الإسلامي . وطريقة المؤلف في الإخراج تدل على أنه سيضيف إلى السلسلة عدداً آخر من الكتب .

ولقد وقع في يدي كتاب المدخل الفقهي العام فوجدت شيئاً جديداً وعملاً جليلاً ، فأما أنه شيء جديد فإن الفقه الإسلامي لم يجز رجاله على هذه الطريقة الحديثة

التي جرى عليها المؤلف ، ولم يأخذوا بذلك التقسيم العصري الذي أخذ به ، حيث تؤصل المسائل ، وتعرض الكليات ، وتبسط النظريات ، وتشرح المصطلحات ثم تستخرج الفروع من أصولها أو ترد الجزئيات إلى كلياتها أو تطبق النظريات على موضوعاتها فيخرج الدارس من دراسته وقد ألم بالكليات والنظريات وتماسكت في ذهنه المسائل وارتبطت الفروع بالأصول واستفاد القدرة على حل المشاكل والتمييز بين المتشابه .

وأما أنه عمل جليل فلأنه عمل غير مسبوق ، ولأنه يقتضى من صاحبه فهما وعقلا وجهداً وصبراً حتى يصل إلى ما وصل إليه المؤلف من مستوى رفيع ، لا يصل إليه عادة إلا النابهون بعد أن تمهد لهم الطرق ويسبقهم الراود ، فإذا ما وصل المؤلف إلى ما وصل إليه بعد أن شق طريقه في الصخر وكان الرائد لنفسه ولغيره فتلك هي العبقرية الفذة أو هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ولقد ساعد المؤلف على الوصول إلى ما وصل إليه أنه رجل ذو هدف في الحياة وأنه من أصحاب المثل العليا الذين يعملون ويقولون لوجه الله فأمد الله جل شأنه بعونه وورزقه الفهم لدينه وشريعته .

ويلوح أن المؤلف قد عانى من مرارة الاطلاع على كتب الفقه ما عانى فأخذ على نفسه أن يوطئ الفقه لطلابه ، ثم رأى الفقه الإسلامى في ترتيبه وتبويبه وربط فروعه بأصوله متأخراً قروناً عن الفقه الحديث ، فأخذ على نفسه أن ينقل الفقه الإسلامى عبر هذه القرون الطويلة نقلة واحدة ليلحقه بالفقه الحديث فوقه الله إلى ما أراد ، فوطأ الفقه الإسلامى لكل طالب ونقله بخطوة واحدة جبارة من العصر العباسى إلى عصرنا الحديث ؛ فإذا هذا الفقه الغنى القوى الذى كان ملتفاً في ثوبه العتيق القديم يخرج على الناس في ثوبه الجديد فتياً مشرقاً يزاحم الفقه كله بمنكيه ، ويعلمن للناس أن فقه الإسلام هو الفقه وأن شريعته هي الشريعة وأن ما اختاره الله للناس هو الخير كل الخير للناس لو كانوا يعلمون .

والمؤلف الجليل يعلم وهو يقدم على هذا العمل الجليل أنه يقدم على عمل أجل وأعظم من أن يقوم به فرد وأن هذا العمل يقتضى أن تتعاون عليه جهود جماعة من الأساتذة العلماء المطلعين على الفقه الإسلامى والحقوق الحديثة في مصادرها وأساليبها الأجنبية ولكن الحاجة الملحة إلى السرعة ومساابقة الزمن قضت بأن يقدم على حمل هذا العبء الثقيل الذى ينوء بالعصبة أولى القوة مستمداً من الله العون .

ولقد أمد الله بعونه فوقه إلى أن يخرج كتاباً جامعاً لأصول الفقه الإسلامى

والنظريات العامة التى تبنى عليها الأحكام فى لغة قوية تسيل عذوبة ورقة وفى تنسيق دقيق وترتيب بديع وربط للفروع بالأصول وسلسلة منطقية للنظريات والأحكام . ولقد كان هذا الكتاب أول الكتب التى تنقص المكتبة الإسلامية وهو بعد وجوده أول الكتب التى ستبنى عليه النهضة الفقهية الإسلامية ، فدارس الفقه الإسلامى فى حاجة شديدة إلى هذا الكتاب ليعرف الأسس التى يقوم عليها الفقه ولتربط فى ذهنه بعض هذه الأسس ببعض الآخر ويتوجه بعد ذلك فى دراسته توجهاً سليماً .

وأهم ما فى الكتاب أن طلبة كلية الحقوق فى العالم الإسلامى يستطيعون أن يقرءوه فلا يشعرون أنهم يقرأون شيئاً غريباً عليهم ولا بعيداً عنهم ، بل لعلمهم سيجدون فى قراءته من اللذة العلمية والتعقيد الفقهى ودقة التعبير اللغوى والاصطلاحى ما يجعلهم يفضلونه على غيره من كتب القانون التى تترجم لهم ولا تؤلف ، بل لعلمهم يجدون فيه من الفن والروح ما لم يجدوه فى كتاب آخر .

وقد استطاع المؤلف فى سهولة ويسر بما وهبه الله من قوة الفهم وعمق الفقه أن يعرض النظريات الإسلامية العامة كما تعرض النظريات القانونية وأن يصل كل كلية بفروعها وأن يستخرج من الفروع كلياتها معتمداً فى عمله على المذهب الحنفى وإن كان يوازن فى بعض المسائل بين المذاهب الإسلامية ولا ينسى فى أكثر الأحوال أن يوازن بين حكم الشريعة والقوانين السورىة .

والكتاب بعد ذلك مرتب ترتيباً منطقياً ، فالقسم الأول منه يتكلم عن الفقه ومصادره والترتيب التاريخى لهذه المصادر وتطور الفقه والأدوار التى مرَّ بها وبمميزاته فى كل دور . والقسم الثانى يتناول النظريات الأساسية العامة : نظرية للملكية وما يدخل تحتها من أسباب الملكية وتقسيم الملك وخصائص الملكية ، ونظرية العقود وما يدخل تحتها من تكوين العقد والإرادة وشوائبها وآثار العقود والفسخ والبطالان وغير ذلك مما تتناوله عادة الكتب القانونية ، ثم نظرية الأهلية والولاية . الخ وهكذا يسير الكتاب من نظرية إلى نظرية فلا يترك نظرية حتى يوفىها حقها من البحث ويوفى ما يدخل تحتها من فروع حقها من البحث .

ومؤلف الكتاب لا ينسى أن يذكر بحوار المصطلح الإسلامى المصطلح القانونى يبين الفرق بينهما فى دقة التسمية وليوسع بذلك معلومات القارئ وينبه ذهنه إلى الموازنة والتعمق فى الفهم .

والمؤلف الجليل الذى بذل هذا المجهود العظيم وأخرج هذا الكتاب الكريم هو

الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الزرقا أستاذ الحقوق المدنية والشرعية الإسلامية في كلية الحقوق بدمشق .

ولعل هذا التوفيق الذي لازم الشيخ في إخراج كتابه يرجع أولاً إلى حسن صلة الشيخ بالله ؛ فما يوفق هذا التوفيق إلا رجل يسدد الله خطاه ، ويرجع ثانياً إلى ما أفاء الله على الشيخ مصطفى من فضل الجمع بين دراسة الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية وكل ذلك ساعد الشيخ الزرقا على أن يحلق في هذا الأفق العالى وأن يقدم للإسلام والمسلمين أجمل الخدمات بهذا الكتاب القيم . جزى الله الشيخ عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، ونفعنا بهلمه وأمدّه بالقوة وكتب له التوفيق إنه سميع مجيب .

عبد القادر عوده



آدم عليه السلام

صدر — والحمد لله — كتاب آدم عليه السلام للأستاذ البهي الحولي ؛
فعلى حضرات المشتركين في الكتاب أن يطلبوه من الأخ محمد عمر بالمركز العام
للاخوان المسلمين .

وعلى حضرات الراغبين في شرائه أن يطلبوه من مكتبة المركز العام .
والمكتبات الشهيرة .

ناروتنا

* رد كريم
* الإسلام والعروبة
* مجلة الخاصة
* اقتراحان

بعثنا رسالة إلى حضرات الأخوة القراء مع العدد الرابع ، وقد أدينا بهذه الرسالة أمانة ثقيل كاهلنا ، وأردنا بها أن نذكر الأخ القارئ بأن «المسلمون» مدرسة قبل أن تكون مجلة ، وبأن من حقها الله أن يقدمها إلى غيره ويضم بذلك إلى أسرة قرائها واحد على الأقل فيكسب بذلك فضل خدمة الفكرة وتبلغ الدعوة ، ويكسب لنفسه أجراً ومثوبة عن كل كلمة خير يقرأها صاحبها في «المسلمون» . . .
وأثلاج صدرنا أن نرى «نقرأ كريماً» يسارع إلى الرد علينا مشجعاً مباركاً ؛ وهذه رسالة من الرسائل التي تلقيناها ، من الأخ الأستاذ علي محمد سعد المدرس بقلين
الابتدائية بمغاغة :

... ..
وبعد فقد كان لحطابكم الكريم أثره في نفسي ، وحمدت الله كثيراً وسألته تعالى أن يكتب لكم التأييد ويمدكم بروح من عنده حتى تبلغ ما نأمله جميعاً من نصر دين الله وإعلاء كلمته — وجدير بمن هو في مثل إخلاصكم وعلو هممكم أن ينال مبتغاه والله أعلم حيث يجعل رسالته — ولعلك بعد رحلتك الأخيرة متمتع بالصحة والعافية ، نصر الله بالخير أيامك . ويسرنى أن أرفق مع هذا إذن بريد بمبلغ جنهين مصريين قيمة اشتراك والسلام عليكم ورحمة الله .

شكر الله لك يا أخى على ! وللأخوة الذين بادروا إلى الرد مشكورين مأجورين ..

ونحن نرجو أن يعتبر كل أخ قارئ من أسرة « المسلمون » نفسه أميناً على رسالة المجلة ، مسئولاً أن يبلغها ؛ ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها . ثم إن وسائل النشر ومعرفة أهل الاستعداد للخير في كل مكان أمر صعب لا يتيسر لنا ، ولكنه سهل إن شاء الله إذا وفق الله وأعانتنا عليه إخواننا الأعزة : كل في مكانه وفي دائرة أهل الخير الراغبين في المعرفة ، والحائرين على مفترق الطرق ، ونستطيع أن نؤكد والحمد لله — وله وحده الفضل والمنة — أن كل من أتيح له أن يطلع على « المسلمون » يبادر إلى الاشتراك في حرص كريم ، وإذا كنا قد عدلنا عن بيع المجلة في الأسواق لاعتبارات ذكرناها من قبل ، وتفادياً لمؤمرات شركات التوزيع ، فإننا نرجو أن يجد الناس في إيمان قراء « المسلمون » وغيرهم أسلوباً جديداً من أساليب الإذاعة والتبليغ .

وفي رسالة من السيد عبد السلام الهراس : كلية الشريعة بيروت يتحدث عن مكان فكرة العروبة من رابطة الإسلام ويخشى من نوازع القومية على بعض الشباب المثقف الذي يرغمى في أحضان كل جديد لأول وهله عندما يسمع أنه بنى على قواعد « فلسفية » وأفكار « عميقة » ونظريات « تقدمية » مغترا بهذه الألفاظ التي تلعب بفكره فتضله . ويقول إن أهم ما تعتمد عليه الدعوة إلى العروبة شيثان : اللغة والتاريخ . وقد نسى هؤلاء أو تناسوا أن القرآن هو الذي حفظ العربية وجعلها لغة حية وفرضها على شعوب لولاه ماتت كل ما كانت بها ومارضيتها . وأما التاريخ فلا أظن دعاة القومية العربية في تاريخ العرب قبل الإسلام أساساً كافياً يقيمون عليه دعوة أو يحفزون به همة . وإنما التاريخ الذي يستقون منه سر قوميتهم ويفتخرون به هو تاريخ الإسلام ، فلماذا لا يدعون إلى الإسلام الذي جمع شمل العرب وأكمل فصائلهم وكانوا به خير أمة ؟؟

هذا حق ، وهي لفظة كريمة إلى موضوع نرجو أن يهتم به دعاة الفكرة الإسلامية ، وإن يتناولوه بما يرد على الناس إيمانهم بالحق وارتباطهم حوله . على أننا نعتقد أن أفضل أسلوب في معالجة ذلك هو إثارة للمعنى الرباني في الأنفس . فهو الذي يضع الآصرة العميقة التي تربط الناس من وراء الفكر والمصالح المتغايرة ، والتي لا تعرف إلا الحدود بين الحق والباطل والخير والشر ، وهو الذي جمع بلالا وسلمان وصهيباً إلى جانب

أبي بكر وعمر في حجر الإيمان : « إنما المؤمنون إخوة » ... وكانت أخوة مشرفه
نصرة تذكر كل عصبية غير عصبية الإيمان ، وقد رأينا كيف غضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين تداعى الأوس والخزرج بأنسابهم وقال : « دعوها فإنها منتنة » ١١
وعلى الدعاة مع ذلك أن يستحضروا شواهد التاريخ في فضل الإسلام على العرب ،
والأمثلة الحية مما تعانيه البشرية اليوم من سعة الشهوات التي تسهر على تغذيتها الشيعوية
البغيضة والتكتلات المصلحية دون اعتبار للحق وللقيم الإنسانية الرفيعة ...

ومع تحية جميلة من السيد المفضل الأستاذ شيخ علوى بن طاهر الحداد مفتي
حكومة جهوز بالملايو ، يبدى سماحته استبشاره بمجلة « المسلمون » ويرى فيها طليعة
فتح مبارك للدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي كله ويوافق سماحة السيد عبد الله بن كنون
عالم طنجة — في رسالته التي جاءت في ندوة المجلة — على أن « المسلمون » مجلة خاصة
رفيعة المستوى . ولكنه يرى الحرص على هذا المستوى ، ويرى أن المجلة بذلك
ستكفل لدعاة الحركة الإسلامية نضجا يحتاجون إليه ووحدية في الفكر والرأى لا بد
منها ، وعلى تلامذة « المسلمون » بعد ذلك أن يبسطوا معانيها المركزه للعامة محتفظين
بالروح المشرقة التي تملأها ، والفكر الرشيد الذي تحويه .

ونحن نشكر للسيد المفضل تحيته وتشجيعه الكريم .. ونسأل الله أن يحقق المجلة
رسالتها في هذا المجال .. ولعلها بذلك تقوم على ثغرة لا يقوم عليها غيرها ، والله المستول
أن يهيء من يقوم على سائر الثغور .

ويقول الأخ السيد هاشم مهدي السامرائي في رسالة رقيقة من سامراء بالعراق :
وبعد : فما فتئنا بين الفينة والفينة نطالع مجلة « المسلمون » تلك المجلة التي ما أحوج
المسلمين في هذه الظروف الدقيقة إلى أمثالها والتي كان قبل صدورها في مجال المجتمع
خوة لم تتمكن صحيفة ناطقة بالإسلام الصافي نطقاً خالصاً أن تسده ما خلا مجلات هن
دون أصابع الكف ، ولقد كانت أسواقنا ودور كتبنا وبيوتنا مغمورة بمجلات الخلاعة
والمجون ، والتي هي إلى قتل الرجولة أقرب منها إلى إلى تقويمها .

ولكن الأمد لم يطل حتى قدم اليوم السعيد ، وإذا بسعيد يصدر مجلته الكريمة ، التي كانت من أول بزوغها إلى عالم الواقع سيفاً مصلتاً على رقاب شياطين الإنس وجنود الإلحاد والضلال والانحلال ، وبوقاً للنذير الذي ينذر أعداء الله بأن غادروا ساحة الإسلام الرجبية ، وخلوا زاوية الإسلام تلوح في الحافقين .

أراني استطردت في الكلام . ولكنني أعود فأقول لقد ظهرت مجلة «المسلمون» في ظروف متأرجحة مضطربة وتبلبل في الأفكار حتى خيل للفاحص بأن معتقدات الناس أصبحت أشبه شيء بدور المراهقة الذي يمر به الشباب . لقد ظهرت «المسلمون» تبجل الران المتكاثف عن قلوب المسلمين بما تقدمه لهم من الزاد الروحي والعقلي . من مناهل الإسلام الرحبة الخالصة . من ذلك النبع الصافي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسير الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، ولا أراني إلا أن أردد مارده غيري حول هذه المجلة المباركة بأن : «المسلمون» مجلة الفكرة الإسلامية في أسمى معانيها .

ولكنني هنا أستاذن أخي الكبير ليسمح لي أن أبدى له اقتراحين فقط وهما :

١ — يتعذر على قسم ليس بالقليل الاطلاع على المجلة والاستفادة منها . فنستأذنك بأن تعمل على إيصالها إلى كل مكان حتى تكون الفائدة أعم .

٢ — ونستأذنكم بأن تفتحوا باباً جديداً في صفحات هذه المجلة المباركة وكان هذا الباب سابقاً مفتوحاً على صفحات مجلة الشهاب التي كان يصدرها الإمام الشهيد حسن البنا عليه رضوان الله ، ألا وهو باب سجل التعارف الإسلامي الذي كان يتحفنا بمعلومات قيمة عن حياة دعاة الفكرة الإسلامية في أقطارهم . وكذا عندي اقتراحات كان قد أبدأها غيري من القراء وعلمتم بها والحمد لله وفي النفس هواجس وفي القلب مسرات نمسك عن ذكرها . خوف الإملال وضيق المجال . ونسأل الله تعالى أن يطيل في عمركم ياسعيد ويعينكم على الاستمرار في إصدار المجلة في هذه الأوقات العصيبة . التي يتطلب فيها من المسلمين أن يعضوا على دينهم بالنواجز

والسلام عليكم ورحمة الله

أما الاقتراح الأول فنحن نعمل على معالجته بكل مالدينا من وسائل ، والمجلة تشق طريقها إلى أطراف الدنيا والحمد لله . . . ولكنها لا تزال تحتاج إلى عناية الإخوة القراء في تقديمها إلى من يتصلون بهم ، ويسعدني أن نتلقى كل اقتراح عملي يحقق ما ننشده للمجلة من انتشار .

أما الاقتراح الثاني فهو موضع دراستنا . وجزى الله الأخ السيد هاشم كل خير .

مع العارفين

الإمام المتحن : أحمد بن حنبل

بين فتنة الجاه وفتنة المال

ظهر إفاك المعتزلة وكذبهم على أحمد ، فأرسل إليه الخليفة المتوكل كتابا يقول فيه :
« قد صبح نقاء ساحتك ؛ وقد أحبت أن آنس بقربك ، واتبرك بدعائك ؛ وقد وجهت
إليك بعشرة آلاف درهم معونة على سفرك » .

وهكذا انتهت محنة الحبس والاضطهاد عن أحمد ؛ وبدأت الأيام تقبل عليه بلون
آخر ، ووجه جديد . .

بدأ الجاه الواسع ، والكرامة الجزلة ، والمال الكثير يخطب وده . . . وأقبل
الخليفة بمد إليه يده بكل ذلك . . .

وفرح آل أحمد بالعافية تقبل مع السعة والجاه ، وحل بالدار نشاط وأنس ،
ودب فيها بعد الوحشة ديب الحركة بمن صار يغشاها من رسل الخليفة وكبار رجال
الدولة . . وكان ذلك حريا أن يمس حياة الإمام بشيء من النضارة والسعة عقب
ما قاسى في السنين الطوال العجاف من قسوة وضيق ومناوأة . . . ولكن هيهات . . .
فقد تألق أحمد على المحنة ، وصفا وأشرق ، وصما عن دنيا الناس ، ولم يرى في إقبال
هؤلاء عليه إلا إقبال محنة من لون آخر لا يعصم من شرها إلا الله . .

قال ابنه صالح : « لما جاء كتاب المتوكل بالمال ناداني أبي في جوف الليل ، فقممت
إليه ، فإذا به يبكي ؛ فلما رآني قال : ما نمت ليلتي هذه ! . . . سلت من هؤلاء حق إذا
كان في آخر عمري بليت بهم . . . ؟ »

فلما كان الصباح جاء الحسين البزار والشايخ ، فقال : يا صالح ! جئني بالميزان
وبالدراهم . . ثم أخذ يزن المال ، ويقول وجهوا هذا إلى أبناء المهاجرين . . وهذا
إلى أبناء الأنصار . . وهذا لفلان ليفرق في ناحيته . . وهذا لفلان . . وهكذا حتى
فرقها كلها . . فلما أحس أنه فرق معها كربته تنفس الصعداء ، ونفض الكيس ،
ثم تصدق به . .

قال صالح : ونحن في حالة الله بها عليم ؛ فجاء ابن له صغير ، فقال : يا أبت ، اعطني درهما ؛ فنظر إلى ، فأخرجت قطعة من جيبى أعطيته إياها .
وبلغ الخبر المتوكل ؛ فقال على بن الجهم — وكأنه يريد أن يزيل شيئاً علق بنفس الخليفة — يا أمير المؤمنين ، ما يصنع أحمد بالمال — وقوته رغيف — إلا أن يتصدق به ؟ وقد عرف الناس أنه قبل منك الصلة ولم يردها .. !
قال الخليفة : صدقت ..

وكان لابد لأحمد من تلبية أمر الخليفة ، لا خضوعاً لقوة السلطان ، بل وفاء لحق السمع والطاعة الذي فرضه الإسلام لولى الأمر في غير معصية .. فخرج من بغداد إلى سامرا ، ومعه يعقوب المعروف بقوصرة ، وهو الرسول الذي حضر إليه من لدن الخليفة بالمال والخطاب ؛ وخرج معه بعض بنيهِ .

وكان يعقوب شديد السرور والزهو بنجاح مهمته ، فقد قبل أحمد بن حنبل أن يخرج معه .. وكان يدرك مبلغ السرور الذي سيدخل قلب أمير المؤمنين بذلك ؛ فلما صار على مقربة من سامرا أراد أن يجعل البشرى بقدم الإمام .. وحدثه نفسه أن يجعل تلك البشرى مضاعفة الأثر ، حافلة بأسباب المسرة ؛ فما أحسن أن يكتب أحمد بنفسه كتاباً للخليفة — وهو في طريقه إليه — بما شاء من الثناء والتقدير ، ومعاني الولاء لسلطانه ! ..

ورأقت الفكرة ليعقوب ، فطار لها ليه ! ... أليس يرى الخليفة فيها أكثر مما كان يطمع من أحمد ؟ .. وأقبل يعقوب على الإمام ..

يا لله ! .. إن الإمام في واد غير وادي الناس ، وكرب يزداد ساعة بعد ساعة كلما اقترب من دار الملك .. ولقد غطى رأسه بغطاء غليظ ، ونكسه لا يرفعه في أحد .. وألقى يعقوب كلماته التي يريد ، واقتحم بها عليه عزله وكربته ، فإذا الإمام يضيق بتفاهة ما يفكر فيه الناس ، فلم يلتفت إلى الكلام ، ولم ير صاحبه جديراً بأن يرد عليه شيء ! .. فغضب يعقوب وأخذته العزة بالإثم .. وأقبل على صالح يقول له : « ما رأيت أعجب مما نحن فيه ! .. أسأله أن يطلق لي كلمة أخبر بها أمير المؤمنين ، فلا يفعل ؟ ! » .

نزل الإمام « بسر من رأى » ضيفاً على أمير المؤمنين ، ولم يكن للخليفة من هم — بعد أن عرف كل شيء عن أحمد — إلا أن يرضيه ، وأن لا يحمله على شيء .

يكرهه .. وحسبه أن يعلم عامة الناس أن أحمل بن حنبل في ضيافته ، فهذه الضيافة وحدها لها من التفسير والتأويل عند الجمهور ما يتوطد له الملك ، ويستقر عليه أمر السلطان ...

عرف الخليفة أن أحمد لا يقبل ماله ، فلم يكن له بد من النزول على رغبته واحترام إرادته ؛ ولكن لا بد من أن يصله في قرابته ، فليكن المال لأهله وبنيه دون أن يعلم ... وتسلم صالح ابنه — بأمر الخليفة — عشرة آلاف على الفور مكان التي فرقها أبوه ببغداد على أبناء المهاجرين والأنصار وسوامم .

وعرف رجال القصر لهفة الخليفة على أحمد ، وشدة إقباله عليه ، وإكباره له ؛ فأقبلوا عليه بمثل ما أقبل سيدهم ؛ كل يخطب وده ، ويتغنى إليه التزلة ، ويحاول أن يسره بما يستطيع .

فهذا وصيف — عاهل رجال القصر — يرسل ابن هرثمة حاملاً إليه التحية ويقول : « الحمد لله الذي لم يشمت بك الأعداء ، أهل البدع ... قد علمت من حال ابن أبي دؤاد ، فينبغي أن تتكلم فيه ما يجب لله » .

والقوم لا يدركون أن أحمد قد وهب لله ما لقي بسبب ابن أبي دؤاد من السجن ، والتعذيب ، والاعتقال ، وضروب الحن ، وسما بذلك عن الثأر والضعينة ؛ فليس في قلبه من موجدة لحصمه القديم العتيد ... وليس لتلك الوسائل التي يتقربون بها إليه ، ويشيرون بها إحن الماضي أقل نصيب من عنايته أو احترامه .

ويجئ من رجال القصر من يسأله رأيَه في ابن أبي دؤاد ، وفيما اقتنى من الأموال والضياع والجواهر ، فلا يجيب ... !

ويجئ يعقوب وسواه ليحدثوه بما يجري لابن أبي دؤاد من الحن ... فمرة قد أشهد عليه ببيع ضياعه ... وثانية قد أخذ إلى بغداد مقبوضاً عليه ... وأخرى ...

كل ذلك والإمام في أفقة العالی لا يزيد سماع الرياء والفسفاس إلا زهداً وانقباضاً وضيقاً بما يحيط به من أجواء النفاق والملق وأسباب الفتن والبلاء .

أمر الخليفة أن تفرش الدار التي هيئت له بالفرش الوثيرة ...

وأن ترتب له ومن معه من بنيه مائدة شهية واسعة ...

وأمر أن يقطع له ملابس فاخرة : طيلسان وقلنسوة وشارات رسمية من السواد الذي اتخذته الدولة العباسية شعاراً لها .

ويحضر يحيى بن خاقان فيقول : إن الخليفة أمرني أن أصير لك مرتبة في أعلى ،

ويصير ولده المعتبر في حرك ، تؤدبه بما شئت من أدب القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إنها الدنيا تقبل بالجاء الجزل ، والمقام المرموق ، وتتبرج له بكل ما تستطيع من زينة ، عليها تظفر منه ولو بلفطة ، أو لحظة من جانب الحدق .

وجاء يحيى في اليوم التالي يدعوه أن يركب إلى دار المعتز ، ويقول في لهجة مهذبة :
تركب يا أبا عبد الله ؟

فيقول الإمام : ذاك إليكم .

وكان يوماً مشهوداً في القصر ... ألبسوه هناك الطيلسان ، وما أمر له به الخليفة من ألوان الثياب والشارات ... ويقول بعض الخدم : إن الخليفة كان مع أمه مستترين خلف ستار من ستر القصر ، يرقب في خفاء ما يكون من أحمد ؛ فلما رآه يدخل ، أخذته رجفة ، وغشيته هزة من الفرح ، ولمع السرور في عينيه وقال : « يا أمه ، قد أنارت الدار بدخول أحمد ! » .

إذا جاز أن يعتذر الدهر لإنسان عن إساءة أسلفها إليه ، فهل يعتذر بمثل ما يعرض اليوم على أحمد بن حنبل من الكرامة المقبلة بلا قيد ولا شرط ؟ ...

يقول ابنه صالح : لما عاد أبي من القصر إلى الدار التي أعدت له نزع عنه الثياب التي أنعم بها عليه ، وجعل يبكي ويقول : « سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة ، حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم ؟ ... ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام ، فكيف بالخليفة الذي يجب على نصحه من وقت أن تقع عيني عليه إلى أن أخرج من عنده ؟ » .

ثم التفت إلى الملابس وقال لابنه : « وجه بهذه الثياب إلى بغداد ، فبعها وتصدق بثمانها ، وحذار أن يشتري أحد منكم شيئاً منها ! » . « يتبع »

أحسن الظنونه

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنوننه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته وأصبح في ليل من الشك مظلم

والإسلاماه !!

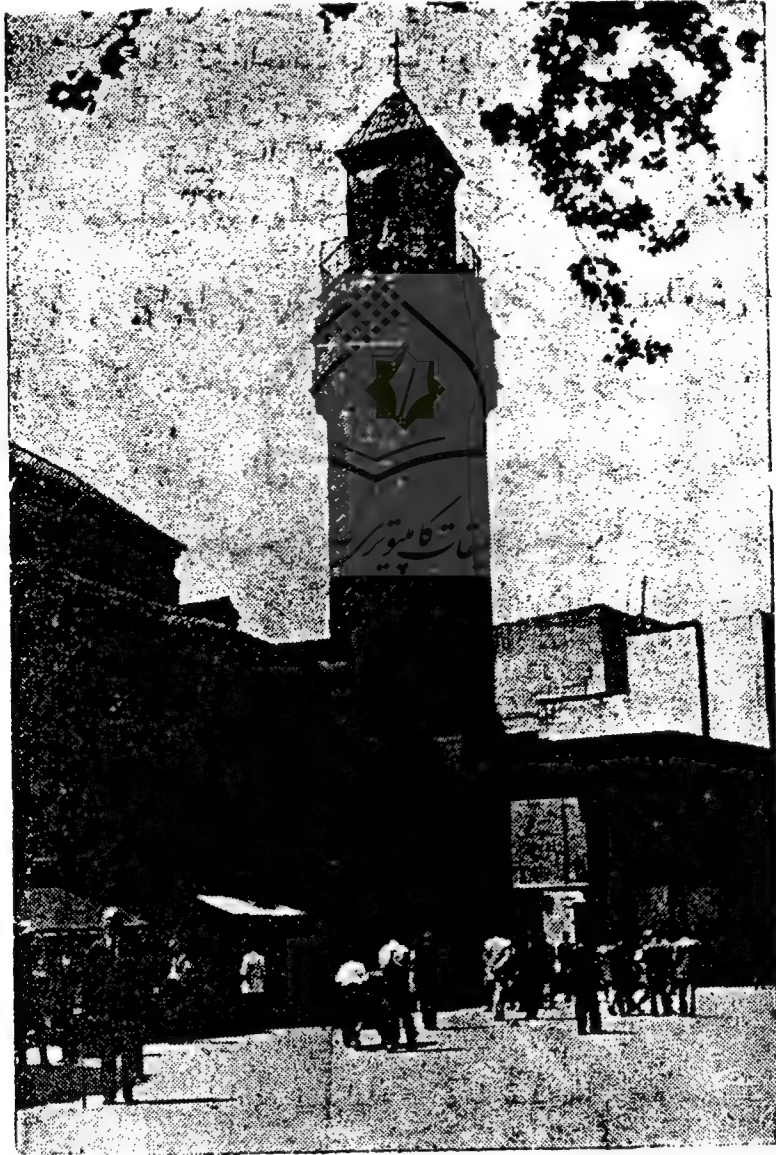
للشاعر الأندلسي أبي البقاء الرندي

[... « والعداء » الذي عاناه الإسلام والمسلمون قديم ، بدأت طلائعه مع طلائع الإسلام في حجر نبيه صلى الله عليه وسلم ... واستمرت المعركة بين العقيدة وأعدائها ، واختلفت مظاهرها ، ولكن طبيعتها بقيت واحدة لا تتغير ... ومضت المعارك واتصلت حلقاتها ، وتألبت على المسلمين قوى رهبة ما أكثر ما اختلفت فيما بينها ، ولكنها انفتحت دائماً على مطاردة الإسلام ، ولم تأل جهداً في استئصال شأفته (١)

والقصيدة التي ننشرها هنا قطعة أندلسية رائعة يطالع فيها المسلم صورة حبة لمجد ذوى ، وأمة تنكل بها وانتهكت حرمتها ... ولقلب دام جريح]

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ فلا يُغَرَّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دول من سرَّه زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شأنُ
أين الملوك ذوو التيجان من يمين وأين منهم أكاليل وتيجان ؟
وأين ما شاده شدَّاد في إرم وأين ما ساسه في الفرس ساسان ؟
وأين ما حازه قارون من ذهب وأين عاد وشداد وقحطان ؟
أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكأن الكل ما كانوا
وصار ما كان من مُلك ومن ملكٍ كما حكى عن خيال الطيف وشنانُ
كأنما الصعب لم يسهل له سبب يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع متنوعة وللزمان مسرات وأحزان
ولاحوادث سلوان يسهلها وما لما حلَّ بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له هوى له أحد وإنهدَّ شهانُ
أصابها العين في الإسلام فارتزأت حتى خلت منه أقطار وبلدان

فأسأل بانسيةً ماشانَ مُرسيةٍ وأين شاطبةٌ أم أين جيانُ ؟
 وأين قرطبة دار العلوم ، فكم من عالم قد سما فيها له شانُ ؟
 وأين حص وماتحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملآنُ ؟
 قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركانُ ؟
 تبكي الحنيفة البيضاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمانُ
 على ديار من الإسلام خالية قد أقمرت ولما بالكفر عُمران



من مشاهد قرطبة: كان مسجداً !!

حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن إلا نواقيس وصلبانُ
 حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان

يا غافلاً وله في الدهر موعظةٌ إن كنت في سِنَّةٍ فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يلبيه موطنه أبعد حصن تغر المرء أوطان ؟!
تلك المصيبة أنست ما تقدمها وما لها مع طول الدهر نسيان

ياراكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنها في ظلام النقع نيران
وراثعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بمحدث القوم ركبان ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع في الإسلام بينكمو وأنتمو يا عباد الله إخوان ؟
ألا نفوس أبيات لها هم أما على الخير أنصار وأعوان ؟
يا من لذلة قوم بعد عزم أحال حالهم كفرٌ وطغيان !
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو ترام حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيهم لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رب أمّ وطفلٍ حيل بينهما كما تفرّق أرواح وأبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العليج للمكروه مكرهه والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كدٍ إن كان في القلب إسلام وإيمان

السودان لمسلم

للأستاذ محمد الخير عبد القادر

(٢)

استعمار مقنع :

التجاوب التاريخي هو السمة البارزة في تاريخ العلاقات بين شمال وادي النيل وجنوبه ، فكل حادثة في الشمال لها صدى قوى في الجنوب والعكس صحيح . وما كاد الاستعمار البريطاني ينعم باحتلال شمال الوادي ستة أعوام حتى امتد أخطبوطه إلى الجنوب تحت ستار « استعادة السودان » والقضاء على الثورة المهدية ، وإذا بالقوات الإنجليزية شريكة للقوات المصرية في قمع الثورة المهدية وإن كانت مصر هي التي تحملت العبء الأكبر من تكاليف الفتح ونفقاته ، ولكن الإنجليز استطاعوا — بنخبهم السياسي — أن يستأثروا باستعمار السودان تحت اسم « الحكم الثنائي » حتى لم يعد لمصر — وهي أحد طرفي الحكم الثنائي — في حكم السودان غير المشاركة الاسمية . وهكذا خضع جنوب الوادي بمقتضى اتفاقية سنة ١٨٩٩ للحكم الثنائي الذي فوضت فيه الرئاسة العليا العسكرية والمدنية إلى موظف يلقب « حاكم عموم السودان » يعين بأمر عال خديوى بناء على طلب حكومة جلالة الملكة ولا يفصل عن وظيفته إلا بأمر عال خديوى يصدر برضاء الحكومة البريطانية (١) .

ذلكم هو الحاكم العام الإنجليزي الذي ما زال يتربع على كرسي الحكم في السودان يصرف شئون البلاد بالاشتراك مع عدد من معاونيه البريطانيين الذين تركز في أيديهم جميع السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية ويلقبون « سكرتارين » . فهذا السكرتير الإداري (وزير الداخلية) وذلك السكرتير القضائي (وزير العدل) وثالث السكرتير المالي (وزير المالية) . هؤلاء السكرتاريون وعلى رأسهم الحاكم العام هم الحكام الحقيقيون للسيطرون على سياسة البلاد الداخلية والخارجية . وكل ما يذكر عن حدوث تطورات دستورية تمثلت في المجلس الاستشاري لشمال السودان وفي الجمعية التشريعية المنحلة وفي دستور الحاكم العام الذي رفضه الشعب السوداني بالإجماع كل ما يقال عن هذه المؤسسات لا يغير من الحقيقة شيئا وهي أن الحاكم العام ومعاونيه هم المسيطرون فعلا على سياسة البلاد .

وإذا كانت جيوش الاحتلال قد قضت على الثورة المهدية من الناحيتين الحربية والسياسية فإن قيام دولة الحكم الثنائي كان لبذانا بانتقال المعركة من الميدان الحربي والسياسي إلى الاجتماعي والحققي . وذلك أن دولة الحكم الثنائي الممثلة في الحاكم العام الإنجليزي كانت تدرك من أول وهلة أنها ليست إلا امتدادا لحركة التوسع الاستعماري الكبرى التي التهمت العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وكانت تدرك أيضا أن الشعب السوداني الذي تتحكم في مصيره إن هو إلا جزء من العالم الإسلامي الذي حاربه أوروبا الصليبية في العصور الوسطى وأذاقته أوربا الاستعمارية صنوف العذاب في العصر الحديث . في ضوء هذه الحقائق حددت دولة الحكم الثنائي سياستها في جنوب الوادي وهي لا تعدو أن تكون انعكاسا للسياسة الاستعمارية في الشرق الإسلامي بوجه عام ، تلك

(١) المادة الثالثة من اتفاقية سنة ١٨٩٩ — انظر مكي شيكحة : السودان في قرن من ٣٠٣ .

السياسة التي تهدف أساساً إلى استغلال موارد هذا الشرق واحتكار أسواقه لحساب المصانع الأوربية وامتصاص دم أبنائه لإشباع المعدات الأوربية الحاوية ولكي تحقق هذا الهدف كان لا بد لها من الالتجاء إلى وسيلتين أولاهما إقصاء الدين عن دائرة الحياة السياسية والاجتماعية وصرف الأنظار عن جوهر الإسلام وشموله إلى مظاهر جوفاء وطقوس جامدة يتلهى بها الشعب الجاهل ريثما تتوطد دعائم الحكم الثنائي الجديد أو بعبارة أدق ريثما تتوطد أركان الاستعمار البريطاني في السودان . وأمل هذه الوسيلة هي التي يعينها Bowman — وهو أستاذ جامعي أمريكي — بقوله : « إن البواعث الدينية في العالم الإسلامي لها أهمية خاصة بالنسبة للسياسة البريطانية والفرنسية في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وخاصة على الطريق الموصل إلى الهند لأن الإسلام دين قوة ونفوذ سياسي (١) » . أما الوسيلة الثانية التي يلجأ إليها الإستعمار لتحقيق أهدافه في جنوب الوادي فهي صبغ الحياة السودانية بصيغة زائفة من الحضارة الأوربية وتوجيه المجتمع السوداني نحو مفاسد هذه الحضارة ومفرياتها باسم التقدم والرفق فتضن حكومة السودان الإنجليزية بمنح الرخص لبناء المدارس والمعاهد التي تخرج عن نطاق إشرافها بقدر ما تسخر في تشجيع حانات الخمر وبناء مصانعها . ومهاكب الشحن في السكك الحديدية السودانية تغلق أبوابها في وجه السلع الضرورية فتظل متراكمة على ميناء بور سودان شهوراً وشهوراً لأن أفضلية الشحن من الميناء إلى مدن السودان وأربابه محفوظة « للبيرة » التي تدر على الحكومة ضرائب جركية باهظة .

في ظل هذه المبادئ التي تسترشد بها دولة الحكم الثنائي قبع السودان خمسين عاماً أو تزيد لا يتقدم ولا يتحرك إلا بقدر ما يخدم مصالح الامبراطورية . فالسياسة التعليمية التي يشرف عليها مدير انجليزى ترسم بما يتمشى مع ظروف وتطور أساليب الاستعمار . فتكون مهمة التعليم في بادئ الأمر إخراج موظفين يديرون دفة العمل الحكومي : « يجب أن نعلم الطلبة ما يؤهلهم لخدمة الحكومة في الوظائف الكتابية الصغرى بمرتبات تقل عن مرتبات السكتية الذين يؤتى بهم من الخارج (٢) » وقد نفذت مصلحة المعارف (وزارة المعارف السودانية) هذه السياسة التعليمية حتى أن مخصصات التعليم في ميزانية الحكومة إلى سنة ١٩٤٦ لم تتجاوز ٥ ٪ وعدد الأطفال الذين تتاح لهم فرصة التعليم الأولى لا يزيد على ١ ٪ من عدد الأطفال الصالحين للتعليم في البلاد .

أما عدد المدارس الوسطى وهي مادون الثانوية فلا يربو عددها على إحدى عشرة مدرسة في جميع أنحاء السودان حسب إحصائية عام سنة ١٩٤٦ وهي لا تزيد اليوم على هذا العدد زيادة تذكر . ولقد تفتى ذهن اللورد كيتشنر أول حاكم عام للسودان عن فكرة مشروع لتخليد ذكرى سلفه غردون ، واستقر الرأي على أن تؤسس مدرسة ثانوية في الخرطوم تحمل اسم غردون ، وشكلت لجنة لتنفيذ هذا المشروع الذي وصفه رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت بقوله إنه مشروع « فرضته علينا التزاماتنا الامبراطورية فهو محاولة لإزالة ما بين الشعوب من حواجز وإقامة رابطة من المعاونة العسكرية ونشر الثقافة الإنسانية (٣) » وهكذا تأسست « كلية غردون التذكارية » عام ١٩٠٢ كمدرسة ثانوية وظلت كذلك حتى سنة ١٩٤٥ ثم تحولت إلى كلية جامعية تابعة لجامعة لندن في عام ١٩٤٨ وتضم أقساماً للتخصص في الآداب والعلوم والهندسة والقانون والزراعة والطب البيطري ولا يتجاوز عدد الطلاب في هذه الأقسام مجتمعة على أربعائة طالب . وهناك ثلاث مدارس

(١) Bowman : The New World , p.p. 5,9.

(٢) تقرير كرومر إلى الحكومتين المصرية والإنجليزية سنة ١٩٠٤ .

(٣) « السودان في قرن » مكي شيككا ص ٣٢٨ .

ثانوية تابعة لوزارة المعارف السودانية ويبلغ متوسط طلبة كل منها نحو أربعمائة طالب بالإضافة إلى مدرستين ثانويتين أهليتين ، وتلك هي كل ثروة السودان من التعليم الثانوي . أما الطب فقد تأسست له مدرسة سنة ١٩٢٤ تسمى « مدرسة ككتشنر الطبية » ولكن القبول فيها لبس رهينا بحاجة البلاد إلى أطباء ، وإنما هو رهين بمشقة دولة الحكم الثنائي ، فعما تفتتح المدرسة أبوابها لقبول الطلبة الجدد ، ثم توصلت الأبواب في العام التالي أمام المقبلين عليها ، وقد يمتد حرمان هؤلاء إلى عامين وحتى الذين يسعدهم الحظ بالقبول يمكن عدمهم على الأصابع . أما عدد الأطباء المتخرجين في هذه المدرسة منذ تأسست عام سنة ١٩٢٤ حتى عام سنة ١٩٤٦ فلا يزيد على مائة طبيب وعشرة .

وقد يقال إن التعليم بوجه عام تطور وتقدم في السودان فأصبحت هناك مدارس ثانوية وكليات جامعية ، ولكن هذا التطور ناجم عن تطور أساليب الاستثمار لا عن رغبة صادقة في النهوض بالشعب السوداني ، فهو إذن تطور أملت ظروف استثمارية معينة ولم تمل طبيعة الأمة السودانية المسلمة . صحيح أن الحكومة لم تعد في حاجة إلى مدارس لتخرج لها موظفين ، ولكنها أصبحت في أمس حاجة إلى عقليات سودانية مشبعة بالثقافة الإنجليزية ، وفي حاجة إلى قلوب سودانية تنشد مثلها الأعلى وفردوسها المفقود في الحضارة الأوربية بخيرها وشرها ، وأخيراً هي في حاجة إلى ساسة سودانيين يبشرون برسالة الاستثمار نحو الشعوب المتأخرة وإلى أساتذة ينثرون مجاهل أفريقيا المظلمة بأقباس الحضارة الأوربية في القرن العشرين ! . من أجل ذلك كله كانت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية في دور الحكومة وهي لغة التدريس في المدارس والكليات ، ومن أجل ذلك أيضاً كانت العناية بتدريس الأدب الإنجليزي والتاريخ الإنجليزي والقانون الإنجليزي تفوق كل عناية . إن كلية الخرطوم الجامعة التي تضم في مختلف أقسامها ما يزيد على الستين أستاذاً بريطانياً لا تجد فيها أكثر من أربعة أساتذة مصريين يقومون بتدريس الأدب العربي والتاريخ الإسلامي وحتى هؤلاء لا يختارون إلا إذا توفرت فيهم صفات معينة كالقدرة على تشكيك الطلاب في عقائدهم (١) وزعزعة الثقة في تراثهم الإسلامي المجيد وتشويه معالم التاريخ الإسلامي على نحو ما يفعل المستشرقون . ولكن الحيوية الإسلامية السكامة في الأمة السودانية كانت أقوى من أن تستسلم لهذه الموجة الجارفة من الثقافات الاستعمارية فوقف الشباب الواعي في جنوب الوادي وقفة المؤمن بنفسه المعتر بتراته ليدحض مفتربات المستشرقين ويشور في وجه الأساتذة الذين يسخرون أقلامهم وعقولهم وألسنتهم لخدمة الاستثمار الثقافي عن قصد أو عن غير قصد . أما الشيوخ في جنوب الوادي فلم يكونوا في يوم من الأيام مؤمنين بهذه المؤسسات التي تسمى مدارس وكليات لأنهم أعداء للعلم ولكن لاعتقادهم بأنها مؤسسات تززع اليقين في نفوس أبنائهم ، وتزرع الشك في عقولهم وتبعدهم عن حقيقة الدين ، وما كانوا ليرموا بأبنائهم إليها لولا ضغط العوز ، ووطأة الحاجة . تلك هي حقيقة المعركة بين الشعب السوداني المسلم وبين دولة الحكم الثنائي في ميدان الفكر والحلق والاجتماع ، وإن أقل ما يقال عنها أن الاستثمار فشل فشلاً ذريعاً في استثمار العقول وزعزعة العقيدة وإفساد الأخلاق في جنوب الوادي ، ولئن كانت هناك فتنة قليلة استجابت له ، فذلك لا ينفي هذه الحقيقة . بل إن الوعي الإسلامي الجديد الذي أخذ يكتسح صفوف الشباب المثقف ليضعف الأمل يوماً بعد يوم في إمكان نصر بحوزة الاستثمار في هذا المضمار .

(يتبع)

(١) أدى هذا الأسلوب في التدريس إلى نزاع عنيف في العام الماضي بين طلبة الكلية وأحد هؤلاء الأساتذة فكان مشار اهتمام كبير في الرأي العام السوداني .

في أفق العالم الإسلامي

إبراهيم :

لم يكن سهلاً التكهن بحقيقة الأمور في سياسة إيران ، فإن دسائس الإنجليز وميوعة الأميركيين أو خبثهم ، يجعلنا نشك في روايات وكالات الأنباء ؛ وسفارات إيران للأسف لا تؤدي مهمتها كما ينبغي عليها ... على أن أهم ما اهتم له المسلمون في كل مكان هو العلاقة بين الدكتور مصدق والسيد الكاشاني ، وخوفهم أن يكون قد أصابها شيء أو تأثر أحدهما بتيار من التيارات التي تغشى أرض الذهب الأسود من كل ناحية ، فن قائل إنه تنازع النفوذ بين الرجلين ، ومن زاعم أنه أثر لتنازع النفوذ بين الشيوعية والأمريكانية ، ومن ذاهب إلى أنه لاشيء من كل ذلك وإن هو إلا « تسكيك » أريد به شيء متفق عليه ، ويستشهدون لذلك بالهدأة السريعة بعد الفورة العنيفة في ظاهرها .

ونحن لانملك أسباب الجزم بأمر معين ، وكل ما نستطيعه أن نناشد الرجلين أن يتفقا على أمر ينقذ إيران من الأزمة الشديدة التي تأخذ بخناقها ، وسيفتضي ذلك أن يتحمل الشعب الإيراني كثيراً من الصعاب ويصبر على كثير من الحرمان . وقد نقبأنا بذلك في مطلع القضية الإيرانية في « المسلمون » .

وأساس السكفاح الشعبي دائماً وحدة صفوفه ، وقادته هم النماذج المرموقة للأخلاق اللازمة لجمع الشمل وإحباط الفتن وإرهاب العدو .

وجاء تصريح الدكتور مصدق الأخير في البرلمان قوياً واضحاً وملئاً بالأمل ، وكان رفضه للمقترحات البريطانية الأمريكية الأخيرة عادلاً كل العدل ، فإن معنى قبول شرط التعويض المقترح هو أن موارد الزيت كلها لا تكاد تكفي إلا لتعويض العسكرة التي كانت تنهب إيران فيما مضى . وأعلن السيد مصدق استعداد الحكومة الإيرانية للالتزام بقرار محكمة العدل الدولية الذي تراه إذا تقدمت الشركة البريطانية بطلب تعويض محدد . كما أعلن أن إيران ستحاول بيع زيتها إلى الخارج ، وأشار إلى الصفقة التي نقلتها السفينة ماريلا أخيراً مستشهداً بها على نجاح الجهود التي بذلت في هذه السبيل . وأعرب عن اعتقاده بأن صفقات أخرى ستتم قريباً ، وبهذا سوف تتمكن الحكومة من تشغيل معامل تكرير عبادان تشغيلاً كاملاً . ثم قال إن الحكومة الإيرانية تقف على قدميها الآن بعد أن اجتازت الأزمة الاقتصادية ، وعلى الرغم من التكهنات القائلة بأن إيران لن تستطيع أن تحيا شهراً واحداً بدون موارد الزيت ، فإن المصانع قد استأنفت عملها وديون الحكومة قد سددت ومرتبات الموظفين قد صرفت في حينها ، وقال إن باب المفاوضات مع انجلترا مفتوح على الأساس العادل الذي ذكرته فقط ... للوصول إلى تسوية ودية .

مؤتمر صحفي :

دعا المركز العام للاخوان المسلمين إلى مؤتمر صحفي بمناسبة هودة الأستاذ سعيد رمضان رئيس تحرير « المسلمون » من رحلته في الأقطار الإسلامية التي زار فيها الباكستان وأندونيسيا والملايو والعراق ولبنان وشرق الأردن وفلسطين .

وقد ذكر الأستاذ سعيد في مستهل حديثه أن الشعور السائد في كل مكان من العالم هو أن الأزمة الحقيقية وراء الأزمات جميعاً - اجتماعية واقتصادية وسياسية - هي «أزمة أخلاق» وأنه لا سبيل إلى علاج هذه الأزمة إلا بالعودة إلى الدين : إلى حقائقه مبرأة من كل خرافة ، وإلى روحه الصافية المؤثرة مبرأة من الطقوس الفارغة والمظهر الكاذب ... وسبيل ذلك التربية السليمة ، وتنشئة جيل مسلم يؤمن بالإسلام ويتخلق بأخلاقه ويكافح في سبيله ، ولا سبيل غير هذا إذا أراد المسلمون أن يبذوا بناء حقبة لمستقبلهم القريب أو البعيد ...

ثم قال مجيباً عن سؤال خاص بموقف الشرق الإسلامي من الحرب المقبلة : لقد لمست في الشعوب الإسلامية كلها قلقاً من مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ، وأحسست في جولتي هذا العام أن المسلمين في الأقطار العربية بوجه خاص يحسون الخطر الذي يهددهم إذا اندفع ساستهم إلى الارتباط بإحدى الكتلتين اللتين تتنازعان سيادة الدنيا الآن ، وأستطيع تلخيص هذا الشعور بأن المسلمين يرون في كل مكان وجوب التفرقة بين مواجهة الفكرة الشيوعية التي يرون أنفسهم في غنى عنها بنظائهم الإسلامي - إذا أحسن تطبيقه - وبين معاملة روسيا كدولة ، إذ ليس بينهم وبينها ما يجعلهم يخشون اعتداء منها ، اللهم إلا أن يكون هذا الاعتداء بسبب الاحتلال الغربي ، هذا الاحتلال الذي يجب أن تتجه أولاً إلى التحرر منه تحرراً عملياً لا يعتمد على مجرد الوعود التي نقضت قبل أن يحف مدادها .

ثم قال : إن الشعوب الإسلامية لاتجد مبرراً أبداً يدفع بها إلى حلف يدعو الحرب إلى أرضها ، وهي حرب لاناقة لها فيها ولاجل . والمسلمون مع ذلك يشعرون بأن واجبهم الدفاع عن أنفسهم ضد أي اعتداء ، وهم يرجون بكل معونة من السلاح تقدم إليهم على هذا الأساس إذا كان المقصود به هو أن ندافع عن أنفسنا لاعتنا مصالح غيرنا .

وأجاب على سؤال خاص بعلاقة الإخوان المسلمين بالحركات الإسلامية في عالمها : بأن هذه العلاقات قائمة متوطنة . ولا يعني الإخوان اختلاف أسماء هذه الحركات فإن الإخوان لم يعودوا جمعية ولكنهم أصبحوا فكرة ترمز إلى البعث الإسلامي ويتجاوب معها كل المؤمنين بنفس الفكرة الخالدة .

وهنا سأله مندوب « الأهرام » عن الحكمة في اختيار كراتشي - مقرأ للمؤتمر الإسلامي فأجاب قائلاً : إن الباكستان ألحت على مصر صهرات في اليهود الماضية أن يعقد بالقاهرة المؤتمر الإسلامي الأول ، فتمثلت مصر في تلك اليهود بمختلف الماذير ، ثم قبلت عقد المؤتمر في كراتشي ومقر المؤتمر هناك مؤقت . وليس لاختيار كراتشي مقرأ مؤقتاً أي معنى آخر أكثر من أنه كان لابد من أن نبدأ ، وفي لائحة المؤتمر نص صريح يقول أن للمؤتمر مطلق التصرف في اختيار مقره وفروعه . وإذا أردتم بعد ذلك إيضاحاً فيجب أن تذكروا أن رئيس المؤتمر الأول السيد شبير أحمد عثمانى شيخ الإسلام في الباكستان قد افتتح هذا المؤتمر منذ ثلاثة أعوام بقراءة الفاتحة على روح الشهيد الإمام حسن البنا صاحب فكرة المؤتمر الإسلامي .

فعاد مندوب « الأهرام » يسأله : وما الذي استطاع المؤتمر تحقيقه من أهدافه حتى الآن ؟ فأجاب بأن المؤتمر مؤتمر شعوب هي أجزاء أمة واحدة مزقتها الاستعمار وقطع أواصر الصلات العملية بينها فكان توثيق هذه الصلات بين العاملين فيها أول خطوة عملية يخطوها المؤتمر الإسلامي في محاولة جمع شتات المسلمين .

وأضاف إلى ذلك قوله : ولهذا تمهر حركة الإخوان المسلمين على تعضيد فكرة المؤتمر منذ كان أملاً وحتى يكون عملاً في القريب بإذن الله ، ونرجو أن يكون لانقاد المؤتمر الإسلامي في دورته الثانية خلال هذا العام في القاهرة إن شاء الله أثر في توجيه إمكانيات العالم الإسلامي

وتنظيم حركات البناء فيه ؛ فقد لمست في جولتي بين البلاد التي زرتها هذا العام وعيا ورغبة شديدة في عمل جاد يوجه حماس المسلمين ، وروح الأخوة بينهم وجهة عملية .

وضرب الأستاذ سعيد رمضان لهذا الوعي مثلا أن العالم الإسلامي قد استقبل حركة التحرير في مصر باهتمام بالغ يرجو معه أن تستعيد مصر مكانتها العملية في توجيه المسلمين وجمع شملهم وأن تنجح في أن تكون بنهضتها الجديدة نموذجا إسلاميا يوقظ العملاق الممدود من الدار البيضاء حتى أندونيسيا والصين .

في أندونيسيا :

واستطرد فقال لقد أدهشني حقا أن أسمع في القرى النائية البعيدة أسئلة عن دقائق الوضع الحالي في مصر ، فقد سألتني طالبة في كلية المعلمات الإسلامية بقرية « بادنج بانجنج » الواقعة على مسافة ثلاث ساعات بالطائرة من « جاكارتا » عن علاقة حركة التحرير المصرية بحركة الإخوان المسلمين ومدى التعاون بينهما على خلق الدستور المصري الجديد .

وبدل هذا ولا شك على متابعة المسلمين أخبار إخوانهم في كل مكان من الأرض متابعة لا تتمتع بها أمة أخرى .

وتحدث عن مدى نفوذ الحركة الإسلامية في أندونيسيا فقال لأنها في تقدم مضطرد تشير إليه قوة الأحزاب الإسلامية هناك حتى أصبح متوقعا أن تفوز في الانتخابات القادمة بأغلبية كبيرة في البرلمان والحزب ماشوي — الاسم المختصر لاسم مجلس شوري مسلمي أندونيسيا — أربعة وزراء حاليون منهم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

ومما زادني غبطة وارتياحا أنني دعوت إلى اجتماع لممثلي الأحزاب الإسلامية لخضر زعماءها وأبدوا روحا طيبة واستعدادا كريما لتنظيم دخول الانتخابات القادمة جبهة واحدة .

حركة دار الإسلام :

ولم أجد جوار حركة الأحزاب الإسلامية الظاهرة في أندونيسيا حركة أخرى اتخذت لها اسم « دار الإسلام » ينضوي تحت لوائها ألوف من المسلمين المسلحين المعسكرين بالجبال ويقود هذه الحركة السيد كارتو سويريو .

وقد حلت مجلة « نايم » الأمريكية على هذه الحركة واتهمتها بأنها حركة تخريب وقتل ونهب وتدمير . وبالفت في الاتهام فقالت انه قد اندست في هذه الحركة عناصر شيوعية وهولندية . وتدافع دار الإسلام عن نفسها بأن أعداء الإسلام هم الذين ينظمون الحوادث الخلة بالأمن وينسبون لها دار الإسلام

ونحن ندعو الله أن يقر الأمن في أندونيسيا العزيزة ويهيئ أسبابه ويجمع شمل أهلها على خير ما يجب ويرضى .

بطلبه اللغة العربية :

وختم الأستاذ سعيد رمضان حديثه عن رحلته بدعوة الأزهر إلى أداء واجبه في نشر اللغة العربية ودعم القوى الروحية في سائر البلاد الإسلامية ، فانها جميعا متعطشة إلى الاجتماع حول لواء القرآن ولغة القرآن .

إريتريا :

وقع أفراد الشعب الإريتري على عريضة رفعت إلى امبراطور الحبشة مطالبين بحقوقهم القانونية المفصولة وقد جاء فيها :

١ - حيث أن الدستور الإريتري الذي ينص بأن جميع الشئون التي تقع في اختصاص الحكومة الفيدرالية تكون داخلة في نطاق اختصاصات حكومة إريتريا الداخلية ، وأن المواصلات الداخلية والتجارة الداخلية من اختصاصات الحكومة الإريتريّة . وحيث أنه بموجب قرار الأمم المتحدة والدستور الإريتري تعهد جميع الشئون التي لم تخول للحكومة الفيدرالية إلى حكومة إريتريا . على هذا قد بقي للحكومة الفيدرالية الدفاع والشئون الخارجية ونظام العملة والمالية والتجارة والمواصلات الخارجية فأخذنا مما تقدم كنا نعتقد أن إريتريا تختص بالشئون الداخلية طبقاً لمواد الفصل الأول من الدستور الإريتري ويشارك ممثلوها في المجلس الفيدرالي الإمبراطوري بعدد مساو للممثلين الأثيوبيين وقد اشتركوا فيه فعلاً كما سيشاركون مناصفة في الشعبة التنفيذية والقضائية وكما سيمثلون في الشعبة التشريعية للحكومة الفيدرالية أيضاً بنسبة عدد السكان في إريتريا وأثيوبيا طبقاً لنفس المادة الخامسة من قرار الأمم المتحدة . هذا مانص عليه الدستور و"قرار ولكن العمل وقع على خلاف نصوصهما حيث لم تجد إريتريا اختصاصاتها الداخلية كاملة ولم تشارك في الشئون الفيدرالية طبقاً للقانون حتى نشأ من ذلك شكاوى الإريتريين للمطالبة بحقوقهم القانونية وإن عدم المساواة بين الشعبين طبقاً للقانون يفتح فجوة للخلافات التي لا تعود عليهما بفائدة بل تعود بضرر بليغ .

لهذا نلتزم من جلالته النظر في الخلافات المذكورة على ضوء قرار الأمم المتحدة ودستور إريتريا ثم التنفيذ السريع بعد ذلك في الأمور الآتية :

(أ) تسليم جميع المواصلات الداخلية كلها إلى يد حكومة إريتريا وذلك يشمل السكك الحديدية والطارات وطوابع البريد الداخلي والنقل والتليفونات والتلغرافات والمجاريك .

(ب) تسليم جميع الشئون الداخلية بإريتريا كالمال والبيوت والبطاقات الشخصية لسكان إريتريا من أجناب وضرائبها وضريبة الصحة والتعليم والضرائب المأخوذة من إريتريا على جوازات المسافرين من إريتريا والقادمين إليها وضريبة وقوف البواخر في ميناء مصوع وعصب .

(ج) اشتراك إريتريا في شئون الدفاع ونظام العملة والمالية وفي جميع الشئون الخارجية للحكومة الفيدرالية وتختار حكومة إريتريا الموظفين فيما بعد لإصدار أمرهم السكريم كما اختارت قبل ذلك في المجلس الفيدرالي .

(د) جميع مسودات الإعلانات والقوانين الفيدرالية الجديدة التي أصدرتموها جلالته بوصفكم الرئيس الأعلى للفيدرالية نلتزم إصدار أمرهم بتحويلها إلى حكومة إريتريا لإجراء الاستفتاء فيها من الشعب الإريتري أو من برلمانه طبقاً للأساليب الديمقراطية كما هو الحال في القوانين الفيدرالية لدى دول العالم .

(هـ) الشعب الإريتري يشعر بضائقة شديدة في المعيشة وسبب ذلك يرجع إلى قلة العمل وزيادة التعريفات الجمركية التي أثقلت كاهل الشعب الإريتري وأخذت الحركة التجارية . هذه هي بعض النقاط المهمة التي أحببنا لإفادت نظرهم إليها وأملنا عظيم أن يجد طلبنا هذا قبولا لدى جلالته .

ولنا عود إلى قضية إريتريا إلى عدد قادم إن شاء الله ، فإن قصتها مأساة دامية . . .

أخبار متفرقة

- استبشر المسلمون جميعهم خيراً بزيارة البعثة العسكرية المصرية والبعثة الصحافية لباكستان فإن توثيق الصلات بين مصر والباكستان أمر عظيم ، حرصت عليه الباكستان من أول نشأتها ولم تأل جهداً في العمل له ، ولعله قد آن لمصر الرسمية أن تؤدي في ذلك واجبها في العهد الجديد ، أما « الشعب » فإنه يحمل لباكستان منذ قيامها أعز عواطف الحب والأمل .
- أكد المستر اتوني نتنج ، وكيل وزارة الخارجية البريطانية « أن مجموع طائرات المطاردة النفائنة التي قدمتها حكومة تشرشل لدول الشرق الأوسط حتى الآن لا يزيد على ١٢ طائرة » .
- أذيع في نيقوسيا أن العمل قد بدأ في إنشاء معسكرات كبيرة جديدة في جزيرة قبرص وقد خصص لها اعتماد مبدئي مقداره ستة ملايين من الجنيهات قد تزيد بعد ذلك ، والمفهوم أن هذه المعسكرات هي التي ستنتقل إليها القوات البريطانية في منطقة قناة السويس بعد جلائها عن مصر .
- يقول المجلس البريطاني لتنشيط التجارة العالمية إن الصناعات الهندسية في بريطانيا ستواجه حالة هبوط مالم تزد صادراتها إلى روسيا والصين وسائر الدول الشيوعية ، ولذلك يجب بحث حالة الأسواق في تلك البلاد بحثاً جدياً لمعرفة البرامج الإنشائية والصناعية فيها .
- أعلن أن الفاتيكان أنشأت علاقات دبلوماسية مع سوريا فأصبح عدد الدول التي لها ممثلون دبلوماسيون في الفاتيكان ٤٦ دولة .
- نظمت في بومباي مظاهرة احتجاجاً على السماح ببيع الأبقار راح (ضحيتها) ٣ قتلى وأصيب ١١ بجراح .
- راجت بين الدوائر السياسية إشاعات قوية بأن الجنرال روبرتسون القائد الأعلى للقوات البريطانية في الشرق الأوسط يزور العراق الآن لنقل هذه القيادة من فايد إلى العراق ، والمفهوم أنها ستنتقل إلى مدينة البصرة لأنها أقرب إلى ميدان القتال المحتمل في إيران وتركيا والعراق من منطقة قناة السويس .
- كتبت صحيفة (الديلي هيرالد) البريطانية العمالية تقول : إن جلاء القوات البريطانية عن قناة السويس أمر لا بد منه وإن المحافظين الذين يفكرون بعقلية الماضي يعتقدون أن أية رغبة يظهرها المستر لايدن وزير الخارجية لمواجهة الحقائق الحاضرة يجب أن تعتبر تهوراً أو تأخراً وطنياً .
- أكد الخبراء الفنيون وجود بترول في المنطقة المحيطة بقرية سحر اللبنانية ، وقد بوشر في حفريات التنقيش للكشف عنه .
- وافق مجلس الوزراء المصري على إصدار الاتفاق التجاري المؤقت بين مصر وحكومة الجمهورية الاندونيسية الموقع بالقاهرة في ١٠ يونيو سنة ١٩٤٧ .
- علم المسئولون أن معاهدة تليفونية تمت بين أحد التجار الأجانب في مصر ومدير إحدى الشركات الإنكليزية في لندن ، وكان الحديث بينهما حول بضائع معدة للتصدير من ميناء الإسكندرية إلى نابولي واتفقا على أن تقوم الشركة الإنكليزية بعد ذلك بتصديرها من ميناء نابولي إلى إسرائيل فصدرت الأوامر بمنع شحن هذه البضائع كما أخذ في التحقيق مع التاجر الأجنبي .
- نفت قيادة الجيش الأمريكي في ألمانيا أنها تعمل على إبعاد اليهود عن وظائفهم في إدارة المخابرات السرية في ألمانيا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محتويات هذا العدد

صفحة	
١	هذا القرآن لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي
٤	قصص القرآن : آدم عليه السلام للأستاذ البهي الحولي
٩	من علوم السنة لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا
١١	الربا لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة
٢٢	لأبي نعمان المهاجر لإثبات النواميس النفسية في القرآن
٢٥	طبيعة المجتمع الإسلامي للأستاذ سيد قطب
٣٤	خاطرة : شامليون للتحرير
٣٥	من فقه القرآن والسنة : شروط البيع للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
٤٠	أهلها الخلقون :
٤٢	التشريع الجنائي الإسلامي للأستاذ عبد القادر عوده
٤٨	النظام الرأسمالي الجديد للأستاذ السيد أبي الأعلى المودودي
٥٣	في الإسماعيلية : للإمام الشهيد حسن البنا
٥٩	السيد جمال الدين الأفغاني للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس
٦٦	سبعات فكر للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٨	يوم في أندونيسيا للتحرير
٧٣	الطب عند المحدثين للأميرالاي الدكتور أحمد الناقة
٧٧	باب الكتب : نقد وتعريف
٨١	الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد
٨٥	ندوتنا للتحرير
٨٩	مع العارفين : أحمد بن حنبل
٩٣	والإسلاماء « شعر » للشاعر الأندلسي أبي البقاء الرندي
٩٦	السودان المسلم للأستاذ محمد الحير عبد القادر
٩٩	في أفق العالم الإسلامي للتحرير
١٠٤	الفهرس